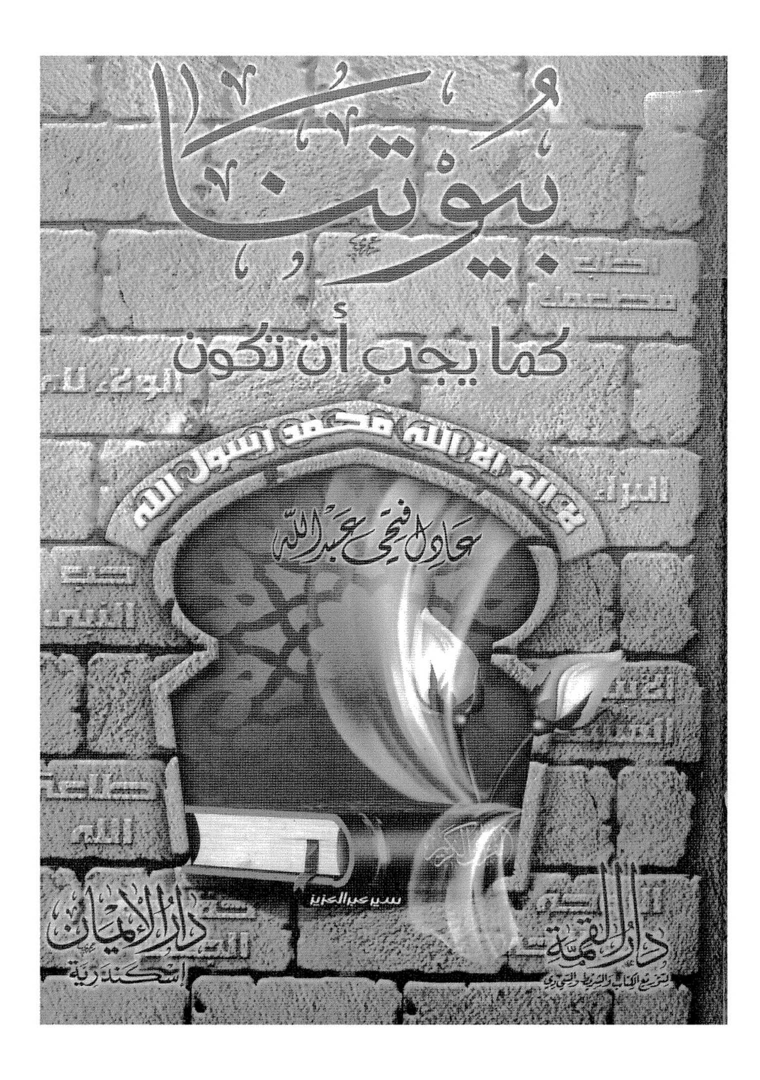
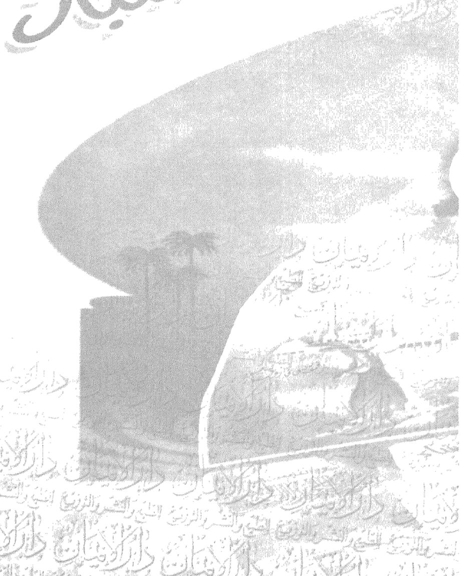
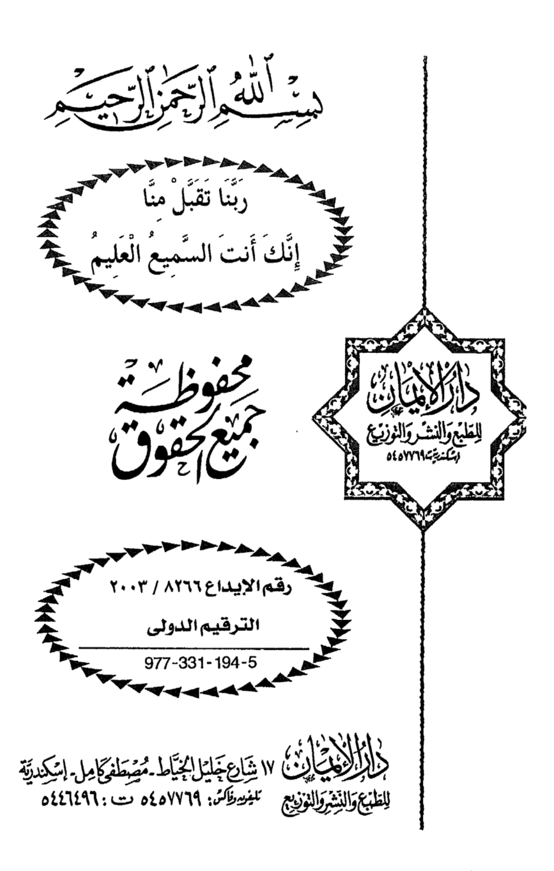

بيوتنا
كما يجب أن تكون
لا إله إلا الله محمد رسول الله
عادل فتحي عبد الله
دار الإيمان
إسكندرية
دار القمة
لتوزيع الكتاب والشريط الإسلامي

شمس تشرق

...الم المكتبات




بيوتنا
كما يجب أن تكون



بسم الله الرحمن الرحيم

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا
إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ٥٤٥٧٧٦٩

رقم الإيداع ٨٢٦٦ / ٢٠٠٣

الترقيم الدولى

977-331-194-5

دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع ١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤٤٦٤٩٦



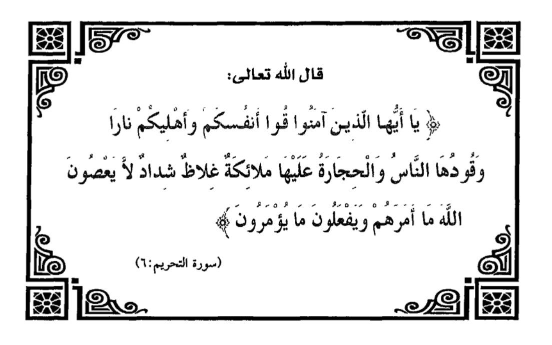
كما يجب أن تكون

عادل فتحي عبد الله






بسم الله الرحمن الرحيم



قال الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾

(سورة التحريم: ٦)



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الخلق والمرسلين، سيدنا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه والتابعين.

وبعد. . .

فإن البيت المسلم يمثل مسؤوليةً عظيمة على الأب والأم بصفة خاصَّة، وهذا البيت هو لبنةُ المجتمع، فإن صلح صلح المجتمع كله، وإن فسد فسد المجتمع كله، فهو بمنزلة الرأس من الجسد.

وهذا البيت هو الحائطُ المنيع، الذي يستطيع أن يصمدَ في وجه التخريب، الذي قد ينال من مؤسسات أخرى في المجتمع، هذا البيت المسلم هو الذي يستطيع أن يحمي أبناءه، وأن يقيهم بإذن الله تعالى من الوقوع في مزالق الفتن، أو الانحراف والانجراف مع تيارات معادية، قد تنال من دينه وأخلاقه.

وهذا البيت كان له الفضل ـ بعد فضل الله تعالى ـ في حماية المجتمع من محاولات التغريب والتخريب التي يكيلها الأعداءُ ليلَ نهارَ. وحين ينهدم هذا البيت ـ لا قدر الله ـ وتتفكَّك الأسرة، يستطيع الأعداء أن ينالوا من أفراده، ولهذا انصبت مكائدهم اليوم على محاولة هدم البيوت المسلمة، وتفكيك أوصالها، بوسائل شتى سنتعرض لها لاحقًا. يبتغون من وراء ذلك الوصول للفرد المسلم، وتفريغه من محتواه الديني والتربوي والقيمي.

حتى لا تقومَ لهذه الأمَّـة قائمة، ولا تكمل مشروع نهضتـها. الذي يسير بخطىً بطيئة، فيتعثـر، بين خطوة وأخرى، لأن أعداءه بالداخل والخارج يقفون له بالمرصاد، لكن الله تعـالى، وقد وعـد هذه الأمـة بالنصر المبين، إن هي اسـتـمسكت بدينهـا، واعتـصمت بحبل الله تعـالى ولم تتفرق. لن يـدع هؤلاء الأعداء يكملون مسـيرتهم التـخريبـية في المجـتمع المسلم. لكن أيضًـا لن يحدث هذا إلا إذا سـاهمت جـموع المسلمين في صنع هذا النصر وبذلت الغاليَ والثـمينَ في سبيل الله. وهذا أيضًا بدوره لن يتم إلا إذا أخذت الأسرة المسلمة دورها، وقامت بمسؤوليتها تجاه أفرادها.

فعملت على العناية بالأبناء، وإحسان تربيتهم، والعمل على غرس معاني الأخوة فيهم، حتى يشبوا متحابين في الله. معتصمين بحبل الله، غير متفرقين.

وأودعت فيـهم مبادىء الشـريعة السمـحاء، من الحق والعـدل والمساواة، ورفع الظلم عن المظلومين، وحبِّ العلم والعمل، وإتقانه، وإحسانه، كأحسن ما يكون.

وأن يأخـذ الأبناء على عـاتقهم واجب الـنهوض بالأمـة من كـبوتهـا، وأن لا ينصرفوا إلى نفوسهم وشهواتهم ورغباتهم، تاركين أمتهم الإسلامية غارقةً في التبعية الذليلة للغرب.

بل يأخذوا بكل السبل المشروعة لتحـقيق هذه النهضة المنشودة. ولن يحقق الآباء هذا الأمر إلا إذا كانوا هم أولاً قدوة صالحة لأبنائـهم، فيروا منهم الأفعال لا الأقوال فحسب، عندئذ سيكون البيت المسلم بحق، بيتًا كما يجب أن يكون. نسأل الله تعالى العلي القدير أن يُحقِّقَ هذه الآمال. وأن يرزقنا الإخلاص في الأقوال والأفعال، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عادل فتحي عبد الله
AhmedAbdeldo@hotmail.com

انتبهوا..
الأسرة المسلمة مستهدفة

لماذا نتحدث عن البيت المسلم في هذا الوقت بالذات؟

لا أظنُّ أحدًا ينازع القول في أن الأسرة هي أحد أهم محاضن التربية الأساسية في المجتمع.

بل ربما أصبحت هي الآن المحضن الوحيد الآمن، بعدما تم تخريب الكثير من المحاضن الأخرى، والأمر واضح للعيان، ولا يحتاج ذو عقل إلى دليل عليه.

ونتيجة للأهمية التربويَّة للأسرة، وجدنا المجتمع الغربي يسعى حثيثًا ومنذ العقد الأخير من القرن المنصرم، نحو هدف يَعُدُّهُ الأهم في أهدافه التوسعيَّة، ألا وهو تقويض أركان الأسرة، والترويج لأشكال الإباحية الجنسية، ومحاولة إلزام المجتمعات الشرقية عامة، والمسلمة خاصة بمبادئه وثقافته في هذا المجال، وذلك بعد انهيار الكتلة الشرقية، وسيطرة القطب الواحد على الزعامة في العالم، وفرض مفهوم العولمة على الشعوب، وبخاصة الشعوب المسلمة، ودول العالم الثالث، وجاء في هذا الإطار عقد عدة مؤتمرات، وإن شئت فسمِّها مؤامرات تحت مسمَّياتٍ مختلفة، لكنها لا تختلف في توصياتها.

وهي توصيات تهدف لهدم كيان الأسرة، ولإباحة الفوضى والإباحية الجنسية في المجتمع، وهي لا تستقي مبادئها من أي دينٍ أو شريعة سماوية. ذلك لأن الأسرة كنظام للمجتمع، لا تختلف الشرائع السماوية المختلفة في الحض عليه، وتقديسه، وجعله الوسيلة الوحيدة الصحيحة والشرعية لوجود الذرية، ولقضاء الشهوة، ولتكوين البيت، لكن هذه المؤامرات وتوصياتها تستقى مبادئها من الهوى، وتتخذه إلهًا من دون الله.

قال تعالى: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة﴾ (سورة الجاثية: ٢٣).

والغريب أنهم يأتون بهذا السفه ليتلوه في عواصم البلدان المسلمة، وعلى سبيل المثال فقد جاء في وثيقة مؤتمر (السكان والتنمية)[١] المنعقد بالقاهرة في الفترة من ٢٩ ربيع الأول ١٤١٥هـ (٥/ ٩/ ١٩٩٤م) إلى ٨ ربيع الآخر ١٤١٥هـ (١٣/ ٩/ ١٩٩٤م)، جاء في هذه الوثيقة، في الفقرة السابعة (ف٧/ ٤٤ ص: ٥٣) ما نصه: «يتعين على البلدان، بدعم من المجتمع الدولي، أن تحمي، وتعزز حقوق المراهقين في التربية والمعلومات، والرعاية المتصلة بالصحة الجنسية والتناسلية» (وقد يكون هذا مقبولاً، مع ما فيه من غموض، وتنكير في الألفاظ، وخلط مفاهيم التربية مع المعلومات، مع الرعاية المتصلة بصحة الجنس، والتناسل، إلا أنها من غير المقبول، الدعوة لِغَلٍّ سلطة الدولة، والإفتئات على سيادتها في إعطاء مقدمي خدمات الرعاية الصحية الحق في التدخل في الأسرة، وعزل الأبناء عن الآباء لاتخاذ قرارات تتعلق بالجنس للمراهقين بمعزل عن الأسرة، وإسقاط توجيهها للأبناء، انظر إلى ما جاء في ذلك (ف٧/ ٤٣ ص: ٥٣) ونصه: «يجب أن تزيل البلدان العوائق القانونية، والتنظيمية، والاجتماعية، والجنسية، والتناسلية للمراهقين، كما يجب أن تضمن أن لا تحدَّ مواقف مقدمي الرعاية الصحية من حصول المراهقين على الخدمات والمعلومات التي يحتاجونها، وفي إنجاز ذلك لابد للخدمات المقدمة إلى المراهقين أن تضمن حقوقهم في الخصوصية والسرية والموافقة الواعية والاحترام» وهذا يعني أن إحدى

---

(١) هكذا تم تسميته، لكنه في الحقيقة كان مؤتمراً من أجل تمرير الحرية الجنسية للفتيات والمراهقين، وإباحة الإجهاض والشذوذ، ووثيقة المؤتمر تتكوَّن من (١٢١) صفحة منها (١٠٠) صفحة تتحدث عن المعاني السابقة، والباقي تشير إلى التنمية.

وسائل الحد من النمو السكاني، يتم من خلال تقديم الثقافة والمعلومات الجنسية للمراهقين والمراهقات، ومن ثم إباحة الممارسات الجنسية لهذه الشريحة الاجتماعية من البشر في هذه السن الخطرة، من خلال حقِّهم في سرية هذه الأمور، وعدم انتهاكها من قِبَلِ المجتمع، بل والأسرة التي ينتمي إليها أولئك المراهقون[١].

وتكتمل السلسلة الإنحلالية للأخلاق التي تدعو إليها الوثيقة، حين تشتمل بنودها على إباحة الإجهاض، تحت عنوان (الحمل غير المرغوب) من أجل أن تستمتع الفتاة بحياتها الخاصة بدون معوقات كما في (ص:٤٢،ص:٦٢) من الوثيقة كما تتحدث الوثيقة بطريقة مستترة عن إباحة الشذوذ، وذلك حين تقول (ص: ٣٠) وتوصي بـ «وضع سياسات وقوانين، تقدم دعمًا أفضل للأسرة، وتسهم في استقرارها، وتأخذ في الاعتبار تعددية أشكالها»[٢].

وانظر إلى كلمة (تعددية أشكالها) يعني أن الأسرة ليست هي ذلك النمط المعروف لدينا، (زوج، زوجة، أولاد) كلا، بل هي عندهم ذات أشكال مختلفة، لإباحتهم الشذوذ، وزواج المثلية، ثم يأتي مؤتمر الطفل الذي عقدته الأمم المتحدة في سبتمر ٢٠٠١ لتطرح وثيقة (عالم جدير بالأطفال) وهي لا تختلف كثيراً عما ذكرناه آنفًا من توصيات مؤتمر القاهرة، فهي تتحدث عن (إلغاء التمييز) بين الجنسين، و(خدمات الصحة الإنجابية)، وهي مصطلحات تعني الحرية الجنسية المطلقة للشباب والفتيات، وقد تناول هذه المؤتمرات كثيرٌ من المنظمات والهيئات الإسلامية بالنقد والتمحيص، منها على سبيل المثال اللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل والتي عقدت اجتماعها السادس في شهر يوليو من نفس العام بمشاركة ١٢ منظمة أهلية، وتناقشت حول المصطلحات المذكورة آنفًا، وبينت خطورتها، كما حذر كثير من

(١)،(٢) نقلاً عن: (وثيقة مؤتمر السكان والتنمية - رؤية شرعية -) للدكتور/ الحسيني سليمان جاد - كتاب الأمه: العدد ٥٣ جمادى الأولى ١٤١٧هـ.



العلماء والمفكرين المسلمين من خطورة هذه المؤامرات على الأسرة المسلمة وعلى المجتمع المسلم بصفة عامة. يقول المفكر الإسلامي الدكتور/ محمد يحيى ـ أستاذ الأدب الإنجليزي ـ بجامعة القاهرة: «إن مثل هذه المؤتمرات تذكرنا بما حدث في مؤتمر السكان ومؤتمر المرأة في القاهرة وبكين، والغرض منها عمومًا هو إحداث تغيير جذري في القيم والمعايير الأخلاقية لدى الشعوب المسلمة، وهي حلقة جديدة في سلسلة عمليات التغريب والعلمنة السائدة على الساحة الآن».

ويحذر د/ يحيى من الانخداع بعناوين مثل «عالم جديد بالأطفال» ويعلق قائلاً: «إنها تحمل شعارات برَّاقة تُخفى ما بداخلها من مكائد للإنسان في دول العالم الثالث عامة والإسلامي خاصة»، ويؤكد أن هذا المؤتمر يعد حلقة في سلسلة مترابطة تهدف إلى سلب الطفل هويته العقائدية والثقافية.

كما يهدف المؤتمر إلى ترك الطفل بلا توجيه، أو تربية، بمعنى أدق: بلا أب أو أم أو أسرة تحميه، وتوجه سلوكه، وتقومه ليكون شابًا صالحًا بمعنى الكلمة... وهذه الدعوة تؤكد ما يكن العالم المتقدم من عداء واضح للقيم والأخلاق في مجتمعاتنا الإسلامية»[1] نعم إن هذا كله يمثل صدى لقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ (سورة النساء:٨٩).

إذا كانت الأسرة في الغرب قد انتهت أو كادت أن تنتهي، وإذا كانت العفة والشرف قد أصبحت أثرًا بعد عين عندهم، فلماذا يريدوننا مثلهم إلاَّ إذا كان هدفهم ما ذكره الله تعالى في الآية السابقة الذكر، وما قاله سبحانه وتعالى أيضًا في قوله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ (سورة البقرة:١٠٩).

---

(١) نقلاً عن: Lahaonline.com 23-9-2002.

إنهم يَعُدُّونَ قِيـمَنا وأخلاقَنا خطراً على حضارتهم وتراثهم، وهم يدركـون جيداً أنهم ماضون في طريق الضلال، وأن مـا نحن عليه هو الحق، وهم يخشون مَن تزايد أعداد من يدخلون في الإسـلام، حيث أنهم في تزايد مسـتمر عـامًا بعد عام، كـما يريدون فرض سيطرتهم، وهيمنتهم على الكون، وكذا فرض ثقافاتهم وقيمهم.

ولم يجدوا لذلك سبيـلاً سوى الأسرة، فهي المعقل الأخيـر الذي استعصى على الهدم، بعدما هدموا المؤسسات الأخرى كـافةً، أو خرَّبوها بوسائل متنوعة، لا تخفى على المثقف المسلم.

ولذلك ينبغي على الوالدين أن ينتبها لخطر هذه المؤامرات، وأن يعملا على تربية أبنائهم، تربية سليـمة قائمة علـى الدين والأخلاق والمثل والقيم، حتى يعي الـشباب الدور الخبيث الذي يلعـبه أعداؤنا ليسلخـوا الشباب من دينه وخلقه، وقيـمه وأهدافه العليا، وحتى يدرك الشباب، وتدرك الفتيات أن تلك الألفـاظ البراقة التي يستخدمها الأعداء لتـرويج بضاعتهم العـفنة، ما هي إلا زخرف القـول غروراً، ولا قيمـة لها. وهذه طبيعة أعداء الله في كل وقت، وفي كل زمان، من شياطين الإنس والجن.

قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُواًّ شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً ﴾ (سورة الأنعام:١١٢).

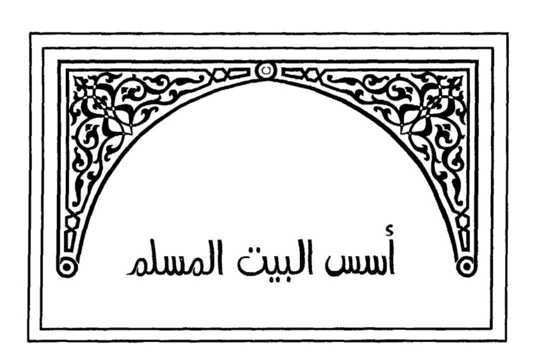
وتلك المصطلحات الفضـفاضة التي استخـدمها أعداء الله لتمرير الحـرية الجنسية للمراهقين خـصوصًا، ولاستبـدال أشكال أخرى بالشكل الطبيعي لـلأسرة لا يرضاها الله ورسوله، ولا ترضـاها النفوس السوية من البـشر، أقول: تلك الأمـور لا تخفى على عمـوم المسلمين، ويدرك خطورتها الكثـيرون، وكان واجبًـا علينا التذكيـر بها، ولفت الأنظار إليها، لبيان خطورتها، وآثارها الهدامة على الأسرة والأبناء.

وحتى يأخذ المسلمون حذرهم، وينبِّهوا أبناءهم، ويضعوا الجسور والسدود أمام هذا التيار الجارف من الانحرافات والشذوذ، والذي يغزونا في عقر دارنا عبر وسائل شتى، منها التلفاز والحاسب الآلي، والمجلات وغيرها.

ومن هنا يجب التحصن بالأسرة، وبقيمها وبمبادئها، والحرص على تقوية أواصرها، والربط بين أفرادها، وبث بذور الحب والتعاون على البر والتقوى بينهم، والحرص على عصمتهم من الانحرافات الواردة من الغير، وإصلاح ما بينهم، ورأب أي صدع يطرأ عليهم، وفتح قنوات الحوار والتعاون بين أسر المجتمع المختلفة، بُغْيَةَ الترابط والتعاضد والتآذر والمناصرة.

كلٌّ هذا وغيره من الأمور المضادة لتيار التخريب والتغريب. ضرورة تفرضها الظروف الراهنة والمستقبلة، والتي لا تبشر بخير، والتي يُكاد فيها ليل نهار، ويُدبَّر فيها صباح مساء للفئة المؤمنة حتى تنصرف عن دينها، وعن قيمها، وعن مبادئها وأهدافها، فهل نُفيق قبل فوات الأوان؟ ونحصِّنُ بيوتنا؟!.




أسس البيت المسلم

الأساس الأول

سلامة القصد

لقد حرص الإسلام على سلامة القصد من العمل الذي يقوم به المسلم، إذ أنه يُعدُّ سلامة القصد شرطًا أساسيًا من شروط قبول هذا العمل أيًا كان.

وقد عبَّر عن ذلك الحبيب المصطفى ﷺ بقوله: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»[1].

والزواج بِعَدِّه عملاً مهمًا وعظيمًا في حياة البشر، فقد حرص الإسلام على أن يجعله عملاً مهدفًا، حتى ينال عليه صاحبه الأجر والثواب. فالزواج ليس فعلاً بشريًا دنيويًا محضًا، بل هو خطوة في طريق صلاح الفرد والمجتمع، وهذه الخطوة ينال من يخطوها الأجر والثواب العظيم، ويظهر ذلك جليًا حين يجعل الله تعالى الزواج أحد أهم الصفات التي يدعو بها عباد الرحمن ربهم ليرزقهم إياها. يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (سورة الفرقان: ٧٤).

ويُستأنس لذلك أيضًا بقول المصطفى ﷺ: «من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه، فليتق الله في الشطر الباقي»[2].

---

(١) الحديث رواه البخاري.

(٢) رواه الحاكم وصحح إسناده، كما رواه البيهقي في «شعب الإيمان»، والطبراني في «الأوسط».

فالغاية هنا ليست دنيوية فحسب، بل هي دينية أخروية أيضًا، وما أعظم أن يعين الله المرء على نصف دينه؟!.

بل إن النبي ﷺ جعل من قضاء الشهوة أيضًا، هذا العمل الذي يظن فيه أنه عمل دنيوي محض، جعل فيه النبي ﷺ أجرًا وثوابًا.

يقول ﷺ: «وفي بضع[1] أحدكم صدقة»، قالوا: «يا رسول الله: أيأتي أحدنا شهوته ويكون له منها أجر؟» قال: «أرأيتم لو وضعها في حرام، أكان عليه وزر؟ فكذلك لو وضعها في حلال كان له أجر»[2].

وقال ﷺ: «كل شيء يلهو به ابن آدم فهو باطلٌ إلا ثلاثًا: رميه عن قوسه، وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله، فإنهن من الحق»[3].

وفي هذا حضٌّ على حسن معاشرة الرجل زوجَهُ، وابتغاء الثواب والأجر من الله تعالى فى ذلك الأمر.

فمسألة الزواج، وإقامة البيت المسلم ينبغى أن يتوفر لها أولاً سلامة نية، بل إنه يحيا ويموت لله تعالى، يعمل لله، ويأكل لله، ويشرب لله، ولذلك فهو لا يخالف أوامره سبحانه وتعالى في حياته.

---

(١) بضع: من المباضعة، وهي جماع الرجل زوجَهُ.

(٢) الحديث رواه مسلم وغيره.

(٣) رواه الترمذي وصححه، وابن ماجه، وأحمد وغيرهم وصححه الألباني بمثله، انظر صحيح الجامع الصغير رقم (٤٥٣٤).

فسلامة القصد تجعله لا يبتعد عن منهج الله تعالى في اختياره، وفي بنائه وغير ذلك من أمور الزواج. وهو في هذا كله يضع نُصْبَ عينيه قول الحق تبارك وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (سورة الأنعام: ١٦٢-١٦٣).

أما الذي يتزوج هكذا بغير هدف، ولا نية، ولا هم له إلا قضاء الشهوة فحسب، ولا ينظر لما للزواج وللبيت المسلم من أهداف أخرى، أو غايات خلاف الأمور الدنيوية، فهذا لا يؤجر لعدم وجود النية، ولأنه لا يرعى الله في حياته الزوجية ولا في بيته، إذ أنه نتيجة لسوء القصد نجده لا يحسن الاختيار، كما نجده لا يرعى الحلال والحرام في سلوكياته ولا في سلوكيات زوجه وأولاده. فسلامة القصد أساس مهم وضروري من أسس إقامة البيت المسلم.



الأساس الثاني
حرية الاختيار

لقد منح الإسلام المرأة حرية اختيار الزوج وشريك الحياة، فلا يجوز أن تكره على أن تتزوج بمن لا ترغب الزواج به، وإن أكرهت على الزواج بمن لا ترغب فيجوز لولي الأمر رد نكاحها.

فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«لا تنكح الأيم**[(١)] **حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن». قالوا: «يا رسول الله، وكيف إذنها؟» قال: «أن تسكت»**[(٢)].

وعن خنساء بنت خدام الأنصارية: أن أباها زوَّجَها وهي ثيِّبٌ فكرهتْ ذلك، فأتت النبي ﷺ فردَّ نكاحها[(٣)].

وعن ابن عباس: أن جارية بكرًا أتت النبي ﷺ فذكرت أن أباها زوجها وهي كارهةٌ، فخيرها النبي ﷺ[(٤)].

والأحاديث في هذا الباب والآثار كثيرةٌ، وفيرةٌ، وكلها تدل على عدم جواز إجبار المرأة سواء أكانت بكرًا أم ثيبًا على الزواج بمن لا ترغب. وفي هذا حفظ لحق المرأة، ولكرامتها، وحرص على دوام عشرتها لزوجها، وحياتها من بعد حياة زوجية

(١) الأيم: هي غير المتزوجة، وهو لفظ يطلق على المرأة والرجل، والأيم المقصودة هنا هي من سبق لها الزواج وفارقت زوجها بطلاق أو بغيره.
(٢) رواه البخاري ومسلم.
(٣) رواه البخاري.
(٤) رواه أبو داود.

سعيدة، حيث أنه من غير المأمون ممن تزوجتْ برجل لا ترغب فيه، من غير المأمول والمرجو منها أن تحبه، أو أن تسعد معه، لذلك فقد أوجب الإسلام على الآباء عدم تزويج بناتهن بغير إذنهن.

والخلاف الوارد في الحديث بخصوص البكر والثيب في الأولى تُستأذن والثانية تُستأمر، خلاف ليس جوهريًا، إذ أن الإذن من كلتيهما مطلوب، لكن مع البكر، ونتيجة للحياء العذري، فهي تُستأذن «وإذنها صماتها» أو «أن تسكت» كما جاء في الصحيح، أما الثيب فلا يجوز زواجها حتى تأمر هي بذلك، إذا أنها أقل حياءً بخصوص هذا الموضوع، وقد تكون صاحبة أولاد ونحو ذلك، فهي لن تستحي من طلب الزواج كما الأمر بخصوص البكر.

والخلاصة: أن طلب إذن المرأة في الزواج أمرٌ واجب، ولا يجوز إكراه البنت على الارتباط بمن لا ترغب فيه، وأن هذا ليس من الإسلام في شيء، وليس للأب أو الأم أن يدعي أحدهما أو كلاهما معرفته بمصلحة البنت أكثر منها فيرغمها على الزواج بمن لا تريد، منتهكًا بذلك حقها في الاختيار. أو أن يمارس عليها ضغوطًا من نوع معين لإجبارها على الرضى أو الموافقة على الرغم منها بمن لا تريد. ويجوز عندئذ أن تلجأ المرأة للقضاء ليردَّ نكاحها إن شاءت، كما فعلت ذلك خنساء بنت خدام على عهد رسول الله ﷺ أو غيرها من النساء.

وبهذا الأساس (حرية الاختيار) فإن الإسلام يكون قد سبق كل حضارات الأرض جميعًا في تكريم المرأة بإعطائها حق الاختيار، وعدم إجبارها على الزواج بمن لا ترغب، في حين أن الشرائع الأرضية الأخرى كانت لا ترى للمرأة مثل هذا الحق، بل وأتباع الشرائع السماوية السابقة أيضًا كانوا يسلبونها هذا الحق.



الأساس الثالث

حسن الاختيار

إن الزواج رباط مقدس، وميثاق غليظ، وهو عشرة عمر، ورفقة حياة، ومن ثم فقد وجب على كل من الزوجين التدقيق في مسألة الاختيار، وعدم التسرع باختيار الزوج من غير تثبت من دينه وأخلاقه.

فأساس الاختيار هو الدين والخلق، ومن اختار على هذا الأساس فقد أحسن الاختيار، ومن نحاه جانبًا فقد أساء الاختيار. فمن اختار شريك حياته على أساس المال والجاه، أو الجمال والوجاهة فحسب فقد خسر خسرانًا مبينًا.

فعن رسول الله ﷺ أنه قال: «تُنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين، تربت يداك»[1].

يعني إن لم تجعل أساس اختيارك ذات الدين فقد تلطخت يداك بالتراب، وهذا كناية عن الخسارة الكبيرة.

وذلك لاعتبارات كثيرة، فالمرأة ذات الدين تكون له عونًا على الطاعة، ولا تشجعه على المعصية أبدًا، كما أنها تكون أحرص على مرضاته، وهي أيضًا المستأمنة على ماله وعياله، وكذا على أسراره وأخباره.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

أما من تسرع فاختار على أساس الجمال أو المال مثلاً مهملاً الدين، فإن الجمال يفنى، والمال يفنى، ويبقى الخلق السيء الذي لا يطيقه الزوج.

وكما أوصى الإسلام الرجل بحسن اختيار المرأة الصالحة لتكون له زوجًا فقد أوصى أيضًا المرأة ووليها بحسن اختيار الزوج، وعدم النظر للأمور الأخرى خلاف الدين وعَدِّهَا هي الأساس.

وذلك لأن ولي المرأة عادةً ما يفرح بالزوج الغني، فيتسرع بقبوله والموافقة عليه من دون النظر لأخلاقه، والتدقيق في صفاته، يقول ﷺ: «إذا آتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنةٌ في الأرض وفساد عريض»[1].

نعم وأي فتنة حين يفضل الغني الطالح على الفقير الصالح، فيغري ذلك السفهاء بالاستهزاء بالدين، ويتسبب في العجز للفقراء وفقدان الأمل في الزواج.

ولقد وعظ الله المؤمنين بقبول الزوج المؤمن وإن كان فقيراً حتى يغنيه الله من فضله. قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ[2] مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ (سورة النور: ٣٢).

فلا يجعل الوليُّ نصب عينيه غنى الزوج قبل خلقه وأمانته، ولا تنظر الفتاة إلى المال وتترك الدين والأخلاق، فقد تتزوج شابًا غنيًا غير ملتزم بخلق الإسلام فيكون زواجًا غير موفق، وتندم بعد فوات الأوان. فلتحسن لذلك الاختيار وهي مازالت في بر الأمان.



(١) رواه الترمذي وابن ماجه وسعيد بن منصور.

(٢) الأيامى: جمع (أيم) وهو غير المتزوج، ويطلق على الذكر والأنثى.

الأساس الرابع
المودة والرحمة

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (سورة الروم: ٢١).

المودة والحب بين الزوجين يُعَدَّان أساسًا مهمًا، ودعامة قوية، من أسس ودعائم الحياة الزوجية، وليس الحب المقصود هنا هو تلك العاطفة الحادة القوية الجارفة التي قد تتولد لدى المراهقين. لكن الحب في الحياة الزوجية هو ذلك الشعور العميق بمتانة العلاقة وقوتها بين الزوجين، تلك العاطفة وذلك الشعور الذي يتولد من العشرة الطيبة، ومن خوف كلا الزوجين على الآخر، وعطائه المتميز له.

وهذا الحب وتلك المودة منّة وفضل من الله تعالى، وليست فضلاً من أحد غيره، قال تعالى عن المؤمنين وحبهم لبعضهم البعض: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ (سورة الأنفال: ٦٣).

تلك الألفة والمودة وذلك الحب هو فضلٌ عظيم يمنحه الله من يشاء من عباده، ممن أطاعوه، وعرفوا فضله، وقاموا بواجباتهم تجاه ربهم وتجاه غيرهم.

وهذا الحب ليس شيئًا يستحي منه الأزواج، كلا، لأنه ينبغي أن يشمل كل الأزواج، وأوضح مثال على هذا الحب الزوجي، سيد الخلق والمرسلين، سيدنا محمد ﷺ الذي أحب زوجه الأولى والتي قضى معها زهرة شبابه، ولم يتزوج عليها غيرها، حتى ماتت، وقد تزوجها وهو في سن الخامسة والعشرين، وماتت وهو في

سن الخمسين، فعاش معها خمسًا وعشرين سنة، وقد تزوجها ثيبًا وكان عمرها آنذاك أربعين سنة، وماتت وهي في الخامسة والستين من عمرها، ولقد أحبها ﷺ حبًا شديدًا، وكان يقول عنها: «إني رزقت حبَّها»[1].

ولشدة حبه إياها حتى بعد وفاتها غارت منها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، على الرغم من حبه العظيم لها أيضًا ﷺ إلا أنها غارت منها لكثرة ذكره إياها.

فتجرأت مرة وقالت عنها لرسول الله ﷺ: **«هل كانت إلا عجوزًا أبدلك الله خيرًا منها؟»**[2].

قال: فغضب، وقال: «لا والله ما أبدلني الله خيرًا منها: آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء»[3]. **قالت: «فقلت في نفسي لا أذكرها بعدها بسيئة أبدًا».**

هذا الحب الكبير كان منَّةً من الله وفضلاً، وذلك لحسن خلقه ﷺ، وكرم أخلاق خديجة رضي الله عنها، وقيامها بواجبها كزوجٍ وكمسلمة حق القيام وهذا الحب لم يكن استثناءً، بل كان ﷺ يحب أزواجه كافةً وممن تميزت بحبه ﷺ أيضًا، زوجُه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حيث سأله ذات مرة أحد أصحابه: من أحب الناس إليك يا رسول الله؟» قال: «عائشة»، قال: من الرجال؟ قال: «أبوها»[4].

وحيث كان يداعبها ﷺ فيقول لها: **«إني لأعلم إذا كنت عن راضية، وإذا كنت عليَّ غضبى»**، قالت: **«قلت: من اين تعرف ذلك؟».**

---

(١) رواه مسلم.

(٢) تقصد نفسها رضي الله عنها حيث لم يتزوج ﷺ بكرًا غيرها، ولكونها بنت الصديق رضي الله عنه..

(٣) الحديث أخرجه أحمد، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» وحسن إسناده عن أحمد.

(٤) رواه مسلم.

فقال: «أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين: لا ورب محمد، وإذا كنت غضبى قلت: لا ورب إبراهيم»، قالت: «قلت: أجل والله يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك»[1].

وهذا هو الحب، إذا أنها تقول ما معناه، أنك في القلب يا رسول الله، ولا أترك إلا اسمك فقط، حتى في حال غضبي، لكنك أنت وحبك تملأ قلبي، وهذا يدل أيضًا على أن الزواج، والحياة الزوجية لا تخلو من المشكلات، ولا تخلو من غضب الزوج من زوجها، وغضبه منها كذلك، فهذه طبيعة الحياة، لكن كلٌّ هذا لا يفقد الحب قوته، ولا عاطفته.

هذا الحب الذي لا يفتر طوال العمر، ويظل حتى نهاية الحياة. تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: «إن من نعم الله عليَّ أن رسول الله ﷺ توفى في بيتي، وفي يومي، وبين سحري[2] ونحري[3]، وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته، ودخل عليَّ عبد الرحمن (بن أبي بكر - أخوها -) وبيده السواك، وأنا مسنده رسول الله ﷺ، فرأيته ينظر إليه، وعرفت أنه يحب السواك، فقلت: آخذه لك، فأشار برأسه أن نعم، فتناوله فاشتد عليه، فقلت: ألينه لك؟ فأشار برأسه أن نعم، فلينته فأمره...»[4].

وهكذا كانت بقية أزواجه ﷺ يحببنه حبًا جمًا، مثل السيدة زينب بنت جحش التي كان يشرب النبي ﷺ عندها عسلاً، وكانت جميلة كأجمل النساء فغارت منها عائشة وحفصة رضي الله عنهما واتفقتا على أمر «المغافير»[5] في القصة المعروفة في التحريم في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ...﴾ (سورة التحريم: ١).

---

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) سحري: صدري (الرئة).
(٣) النحر: أعلى الصدر، المقصود أنه مات ورأسه على صدرها ﷺ.
(٤) رواه البخاري.
(٥) المغافير: نبات صمغي حلو الطعم كريه الرائحه.



وذلك حين عـزم ﷺ على ألا يشرب العسل مرة ثانيـة لما قالت لـه حفـصة وعائشة رائحة فمك مغافير . . .

ومما يدل أيضًا على حب أزواجـه كلهن له ﷺ ، أنهن فضلن الحياة مـعه على شظف العيش، وبساطة الحـال على أن يسرحهن سراحًا جميلاً، حين نزلت عليه آية التخيير لأزواجه في سورة الأحزاب.

وهذا الحب والود بين الزوجين ينال عليه كـلاهما الأجر والثواب، فهـو سعادة في الدنيا، وسعادة في الآخرة أيضًا، عن سـعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ : «... وإنك مهما أنفقت من نفقة فإنها صدقة، حتى اللقمة ترفعها إلى فِي[1] امرأتك»[2] .

فانظر كيف يجعل النبي ﷺ هذا الحب والود صـدقة من باب الصدقات المقبولة!».

وقد كانت بيـوت المؤمنين والمؤمنات في عهد النبـوة، تنعم. بهذا الحب الدافىء بين الزوجين.

ولنأخذ على ذلك مثالاً لزوج تحب زوجها لدرجـة أنها تعده خير الرجال، ولا يوجد من هو خـير منه على وجـه الأرض عندها طبعًا باسـتثناء خيـر البشر سـيدنا محمد ﷺ .

تقول أم سلمة: سـمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمر الله: «إنا لله، وإنا إليه راجعون»، اللهم أجرني في مصيبتي، واخلف لي خيراً منها،

---

(١) في: يعني فم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

إلا أخلف الله له خيرًا منها» ، قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: «أي المسلمين خير من أبي سلمة؟! فأخلف اللهُ لي رسولَ اللهِ ﷺ»[1] .

فانظر إلى صبر تلك الزوج، وطاعتها لله ورسوله، فعلى الرغم من أنها مقتنعة تمامًا بحب أبي سلمة الذي توفى، وحزنها الشديد عليه، واقتناعها بأنه خير الناس كما ذكرنا، إلا أنها طاعة لله ورسوله قالت الدعاء المذكور في الحديث، فأخلف الله لها خيرًا من أبي سلمة، فطلبها للزواج خير البشر أجمعين سيدنا محمد ﷺ ، وأصبحت أمًا للمؤمنين جميعًا.

هذه المرأة المؤمنة المهاجرة الباكية حبًا لله ولرسوله حين منعها أهلها من الهجرة، ثم سمحوا لها بالهجرة، هذه المرأة حين مات زوجها أبو سلمة أقسمت لتبكينَّه بكاءً شديدًا كعادة العرب في الجاهلية، فلما سمعت النبي ﷺ ينهى عن ذلك، امتثلت لقوله، وصبرت صبرًا جميلاً.

تقول أم سلمة: لما مات أبو سلمة قلت: غريب، وفي أرض غريبة لأبكينَّه بكاءً يُتحدث عنه. فكنت قد تهيأت للبكاء عليه، إذا أقبلت امرأة من الصعيد (مكان عالٍ في المدينة) تريد أن تسعدني (يعني تبكي معها وتنوح)، فاستقبلها رسول الله ﷺ وقال: «أتريدين أن تدخلي الشيطان بيتًا أخرجه الله منه؟!» مرتين، فكففت عن البكاء، فلم أبك[2].

لقد كانت تفهم قول الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٣٦).

---

(١)، (٢) رواهما مسلم.

وإلى جانب الحب والمودة بين الزوجين يجب أيضًا أن تتوفر الرحمة، والرحمة أحد نتائج الحب، فالحب يجعل صاحبه رحيمًا بمن أحبه، فقد يؤثر المحب حبيبه على نفسه، ويعذره إذا قصَّر في خدمته.

وقد يصبر عليه صبرًا جميلاً، ولا يعنفه، ولا يقسو عليه، وهذا الخلق أيضًا منَّةٌ من الله تعالى، وعطيةٌ من عطاياه، قال الله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ﴾ (سورة آل عمران:١٥٩). هذه الرحمة من الله تعالى هي التي يتراحم بها الناس، ويتراحم بها الزوجان فيما بينهما.

وهي التي تجعل كليهما لينًا مع الآخر، سهلاً معه في التعامل، وليس قاسيًا ولافظًا غليظًا.

ولأجل هذه الرحمة أوصى النبي ﷺ الرجل بالصبر على طباع زوجه، فقال ﷺ: «لا يفرك مؤمنٌ مؤمنةً، إن كره منها خُلُقًا، رَضِيَ منها خُلُقًا آخر»[1].

ويفرك، تعني يبغض، فلا يبغض الزوج زوجه لكونها تتصف ببعض الصفات الخلقية أو الخلقية التي لا تعجبه، بل قد يكون فيها من الصفات الأخرى الجميلة، فليصبر على ما لا يعجبه فيها.

وهذا من الرحمة المطلوبة بين الزوجين، بل إنه ربما تكون بالزوج صفات لا تعجب الزوج مما يدعوه لكراهيتها، وقد تكون هي خيرًا له من غيرها، فلا يتسرع الزوج بكره زوجه لبعض صفاتها، يقول الله تعالى بخصوص هذا المعنى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (سورة النساء:١٩).

---

(١) رواه مسلم.

نعم قد يكون فيها خيرٌ كثيرٌ، فلا تتسرع أيها الزوج ببغض زوجِك ولكن عليك بالرحمة بها والصبر على طباعها، والتدرج معها في تغيير أو تعديل بعض سلوكياتها...

النبي ﷺ يوصيك أيها الزوج الكريم بالصبر على طباع زوجِك الأنثوية، والتي تتميز بها عن الرجل، مثل سرعة انفعالها، وشدة عاطفيتها، وسرعة تأثرها بالمشاكل اليومية...

فيقول ﷺ : «استوصوا بالنساء، فإن المرأة خُلقت من ضلع، وإن أعوجَ شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوجَ، فاستوصوا بالنساء»[1].

وهذا العوجُ موجودٌ في كلِّ النساءِ، وهو ما ذكرناه آنفًا من اختلاف خلقتها عن الرجل وزيادة عاطفتها وسرعة انفعالها وتأثرها... إلخ.

وهذا يناسب خلقتها لكونها امرأةً، وهكذا خلقها الله عزَّ وجلَّ لتتلاءم مع دورها في الحياة كأمٍّ وزوجٍ بشكل أساسي.

كما تعني الرحمة بين الزوجين أيضًا صبر المرأة على حال زوجها، وأن تعيش معه على (الحلوة والمرة) كما يقولون، ولا تسخط على حالها، أو تشتكي حالها للناس، فهذا ليس بخلق الزوجِ المسلمة.

ولقد صبرت نساء النبي ﷺ معه على شظف العيش، لدرجة أنه كان يمر الهلال تلو الهلال تلو الهلال ولا توقد في بيوتهن النار، وما كان طعامهن إلا التمر والماء.

وهذا الصبر من الرحمة التي يقذفها الله في قلب من يشاء من عباده، وفي قلب من يستحقها من المؤمنين والمؤمنات. وقد وجدنا من أمهاتنا المؤمنات من صبرت على

(١) رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري.

حال زوجها، وعاشت معه في السراء والضراء، لا تشتكي، ولا يعلم بحالها أحدٌ من الناس، وهناك كثيرٌ من البيـوت ممن ينطبق عليهم قول الله تعالى: ﴿ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ (سورة البقرة: ٢٧٣).

فلا تشتكي المرأة لأحـد أبدًا حالها، بل تراها تحسبهـا غنيةً، وهي في واقع الحال من الفقراء الذين يستحقون الزكاة.

ولنساء المسلمين في هذا المضمار المثل والقدوة في أمهات المؤمنين، وفي كل امرأة مؤمنة صالحـة تعرف حق الله، وحق الزوج، ويعرف قلبها الرحمـة بالزوج، والصبر معه على كل حال، فتشكر في السرَّاء وتصبر في الضرَّاء.



الأساس الخامس

التعاون والتآزر

من أسس الأسرة المسلمة التعاون، هذا التعاون الذي يكون من الجانبين، من الرجل والمرأة على حد سواء، تعاون في الإنفاق على الأسرة، وتعاون في شؤون البيت، وتعاون كذلك في تربية الأبناء.

ومن أمثلة التعاون بين الزوجين على الإنفاق على الأسرة، مثال امرأة عبد الله بن مسعود والتي كانت تتصدق على زوجها الفقير عبد الله بن مسعود، حيث تروي زينب امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما فتقول: «قال رسول الله ﷺ: «تَصَدَّقْنَ يا معشرَ النساءِ، ولو من حُلِيِّكُنَّ»، قالت: «فرجعت إلى عبد الله، فقلت: إنك رجلٌ خفيف ذات اليد»[1]، وإن رسول الله ﷺ قد أمرنا بالصدقة، فأته فسأله فإن كان ذلك يجزى عني وإلا صرفتها إلى غيركم، قالت: فقال لي عبد الله: بل ائتيه أنت، قالت: فانطلقت فإذا امرأةٌ من الأنصار بباب رسول الله ﷺ حاجتي حاجتها، قالت: وكان رسول الله ﷺ قد أُلقيت عليه المهابة، قالت: فخرج علينا بلال، فقلنا له: ائت رسول الله ﷺ فأخبره أن امرأتين بالباب نحن، قالت: فدخل بلال على رسول الله ﷺ، فسأله، فقال له رسول الله ﷺ: «من هما؟» فقال: امرأةٌ من الأنصار وزينب، فقال رسول الله ﷺ: «أيُّ الزَّيَانِبِ؟» قال: امرأة عبد الله بن مسعود، فقال له رسول الله ﷺ: «لهما أجران أجر القرابة وأجر الصدقة»[2].

(١) أي فقير.

(٢) رواه البخاري ومسلم واللفظ له.

وهكذا يبين رسول الله ﷺ أن صدقة الزوج على زوجها وأولادها جائزة، بل ولها أجران، أجر الصدقة وأجر القرابة.

فالمرأة هنا شاركت زوجها، وعاونته في الإنفاق على الأسرة، فحين يكون الزوج فقيراً، وزوجُهُ غنيةً، عندئذ فإن لها أن تعاونه في النفقة، ولها الأجر العظيم والثواب الجزيل.

وقد ورد أن زينب هذه كانت لها صنعةٌ تكتسبُ منها المال، كما ذكر ذلك الحافظ في الفتح.

ولا يعني هذا أن المرأة مُكَلَّفةٌ بالإنفاق على الأسرة، كلا، فالرجل هو المكلف بهذا، لكن هذا لا يمنع التعاون بينهما، حين يكون الزوج فقيراً، وزوجُهُ غنيةً من ميراثٍ أو من عملٍ أو صنعةٍ تقوم بها.

هذا مع اعتراف الإسلام للمرأة باستقلاليتها المالية، وأنه يجوز لها التصدق والتصرف في مالها بغير إذن زوجها كما أقرَّ بذلك جمهور الفقهاء[1].

هذا بخصوص التعاون بين الزوجين من أجل الإنفاق على الأسرة، هذا التعاون الذي يعني حب كل من الزوجين للآخر، وعدم تركه يواجه متاعب المسؤولية وحده مع عدم القدرة عليها أو على إتمامها على أكمل وجه ممكن.

وكذلك بدافع الحب والرحمة بين الزوجين ينبغي عليهما أن يتعاونا فيما بينهما في شئون البيت، وليس عيبًا مطلقًا أن يساعد الزوج زوجَهُ في شئون المنزل، أي في

---

(١) وفي هذا خلاف معروف، وعند الجمهور جواز ذلك كما ذكرنا بشرط أن تكون المرأة غيرَ سفيهة، وخالف طاوسُ فمنع ذلك مطلقًا، وقال مالك: لا يجوز أن تُعطي من مالها بغير إذن زوجها ولو كانت رشيدةً إلا من الثلث، انظر تفصيل ذلك في: «فتح الباري ٦/ ١٤٥ وما بعدها».

أعمال الطبخ وتنظيف البيت والعناية بالأولاد ونحو ذلك... ليس عيبًا معاونة المرأة في مثل هذه الأمور كما يعتقد بعض الناس، وخير دليل على ذلك سيد البشرية محمدٌ ﷺ . حيث كان يُعين أهله في خدمة البيت.

يعني في أعمال البيت. وهو من هو.

فقد سُئلت أم المؤمنين عائشة ﵂: ما كان رسول الله ﷺ يعمل في بيته؟ قالت: **«كان بشراً من البشر، يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه»**[1].

في الصحيح أن الأسود ﵁ قال: سألت عائشة: «ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟».

قالت: **«كان يكون في مهنة أهله[2]، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة»**[3].

وفي مسند أحمد عن هشام بن عروة عن أبيه[4] عن عائشة ﵂ أنها سُئلت ما كان رسول الله ﷺ يعمل في بيته؟ قالت: **«كان يخيط ثوبه، ويخصف نعله، ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم»**[5].

وهكذا كان حال أصحابه رضوان الله عليهم، كانوا يعملون في بيوتهم، كما يدل عليه قول عائشة ﵂: **«ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم»**.

---

(١) رواه أحمد وغيره، وصححه الألباني في الصحيحة برقم (٦٧١).
(٢) مهنة أهله: يعني خدمة أهله.
(٣) رواه البخاري.
(٤) هو عروة بن الزبير بن العوام وعائشة خالته ﵄ أجمعين.
(٥) الحديث رواه أحمد وابن حبان وأبو يعلي والطبراني في «الأوسط»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» برقم (٤٨١٣).

وفي حديث جابر في غزوة الخندق ما يدل على ذلك أيضًا، عن سعيد بن ميناء قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: لما حفر الخندق رأيت برسول الله ﷺ خمصًا[١] شديدًا، فأنكفأت[٢] إلى امرأتي، فقلت لها: هل عندك شيء؟ فإني رأيت برسول الله ﷺ خمصًا شديدًا، فأخرجت لي جرابًا فيه صاع[٣] من شعير، ولنا بهيمة داجن[٤] قال: فذبحتها وطحنت الشعير.

ففرغت إلى فراخي. فقطعتها في بُرمتها[٥]، ثم وليت إلى رسول الله ﷺ . . .»[٦].

وفي قول جابر: «فذبحتها، وطحنت. . .إلخ».

دليل على قيام جابر بأمر الطعام وحده، أو على الأقل مساعدته لامرأته في تجهيزه.

ونلفت النظر لنقطة مهمةٍ في هذا المقام، وهي أنه عندما يكون الرجل لديه ضيفٌ وقد أُعِّد لهم الطعام، فإنه ينبغي عليه أن يعين أهله ويساعدهم في خدمة الضيف، وتجهيز الطعام لهم إذا لم يكن عندهم من يفعل ذلك من الخدم، فإن المرأة قد تتعب من إعداد أنواع كثيرة من الطعام جملة واحدة، وتحتاج لمن يساعدها، كذلك في تنظيف الأواني بعد فراغ الضيف من الطعام.

---

(١) خَمَصًا: «بفتح الخاء والميم أي ضامر البطن من الجوع» ذكره النووي.
(٢) فانكفأت: يعني انقلبت ورجعت.
(٣) صاع من شعير: الصاع أربعة أمداد، والمد الحفنة بكفي الرجل المعتدل.
(٤) داجن: الداجن ما يألف البيوت من البهائم.
(٥) بُرمتها: البرمة القدر الذي يوضع فيه الطعام.
(٦) رواه البخاري ومسلم واللفظ له.

إن تعاون الزوج مع زوجه يشعرها بحبه لها، وبخوفه عليها، وتقديره لتعبها، ولثقل المهمة الملقاة على عاتقها، أما الزوج الذي يستهين بأعمال زوجه أو يسخر منها، أو يحتقر ما تقوم به من عمل منزلي، فإنه يزرع بذور المشاكل والخلافات في بيته من حيث يدري أو لا يدري.

كذلك فإن على الزوج أن يساعد زوجه في تربية الأبناء، بل إن عليه دوراً معها في تربيتهم وتوجيههم وإرشادهم، ولا يترك الأمر كله للأم، بل لابدَّ أن يضع بصمته في تربية أبنائه، وفي أخلاقهم وفي ثقافاتهم، وفهمهم لطبيعة الحياة الدنيا، وغايتها، وطريقة العيش فيها. ولا يترك أولاده هكذا للظروف وللمجتمع فيتشكلوا بطريقة قد لا تعجبه مستقبلاً، وقد لا ترضي الله تعالى وهو المسؤول أمام الله عزَّ وجلَّ عن هذا الأمر.



الأساس السادس

المرجعية الشرعية

البيت المسلم يقوم عـلى أسس لا تخالف ولا تضاد مبادىء الشـرع الحنيف، كما يعتمد أفراده جميعًا هذه المرجعـية في كل أمر يطرأ عليهم. والمرجعية الشرعية عندهم هي الأساس فـي الكسب، وفي الإنفاق، فـلا يقبل الأبناء ولا تقـبل الزوجُ أن يُنفق عليهم من كسب غـير مشروع، وقد روي عن نساء سلفنا الصـالح رضوان الله عليهم وعليـهنّ أنهن كُنَّ يودعن أزواجهن في الصـباح قـائلات لهم: «اتقوا الله فـينا، ولا تطعمونا حرامًا، فإنَّا نصبر على الجوع في الدنيا، ولا نصبر على النار يوم القيامة».

كذلك لا يقبل أفـرادُ الأسرة المسلمة، أن تُنفق أموالهم في غـير الحلال، ولا أن يشتـروا بها شيئًـا محرمًـا. ولا أن يتعاملوا بها بـالربا المحرم الذي توعد الله صاحـبه بحرب من الله ورسوله.

فـالبيت المسلـم يعتـمد المعـامـلات الحلال، في البـيع والشـراء، وفي الكسب والإنفاق، وفي المعاملات كافةً.

كذلـك فإن الزوجين يعـتمـدان المرجعـيَّة الشـرعيَّـة كحل لما يطرأ عليـهمـا من مشكلات، وينزلانِ على حكم الله ورسـوله. امتثالاً لقـول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٣٦).

فلا يظلم الزوج زوجَه، ولا يهضمها حقوقَها، ولا يغفل واجباته تجاهها، ويعلم أن الله تعالى قد استرعاه عليها وعلى أولاده وأنه سبحانه وتعالى سائله عن رعيته حفظ ذلك أم ضيَّعه.

قال رسول الله ﷺ: «إن الله سائل كل راع عما استرعاه، حفظ ذلك أم ضيعه. حتى يُسأل الرجلُ عن أهل بيته»[1].

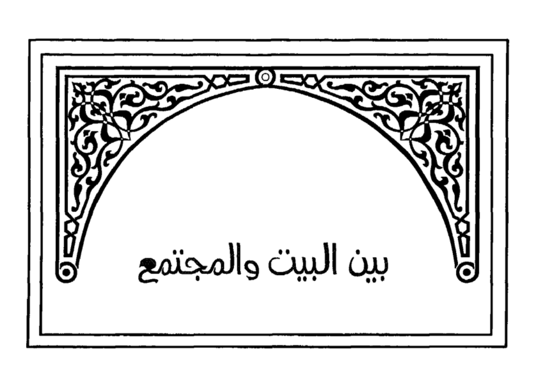
وحين يختلف الزوجان، لا يجور أيٌّ منهما على صاحبه، لكن يحترمه، ويحترم حقوقه، ولا يفترى عليه كلامًا لم يتفوَّه به، بل يعدل عند الرضا والغضب.

وإذا خاصم أحدُهما صاحبه لسبب ما، فلا يفجر في الخصومة، لكن يترفق، ويغفر بسرعة لصاحبه إساءته إليه، ويمتثل قول الله تعالى: ﴿ وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (سورة فصلت: ٣٤).

وعندما تكون المرجعية الشرعية هي الأساس في التعامل بين أفراد الأسرة وبينهم وبين المجتمع، عندئذ سنرى مجتمعًا مسلمًا بحق، وستندثر المشكلات والقضايا التي تحفل بها ساحات المحاكم، وستعود الأخوة الإسلامية الحقة إلى الوجود



(١) رواه النسائي وغيره، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» برقم (١٦٣٦).



بين البيت والمجتمع



البيت المسلم والجيــــران

بعض الناس تعُدُّ الشيءَ الأمثل في التعامل مع الجيران هو أن يتجنبهم ولا يتعامل معــهم، ويقول «أنا في حــالي» ولا أحب أن أتعرَّفَ على أحـدٍ. وقد تجد فــي البيت الواحد أكثر من شقة لا يعرف أصحابها جيرانهم مع أنهم يسكنون بيتًا واحدًا. ويعتقد البعض أن عدم مخالطة الجيران هو الأفضل، حتى لو أن جاره احتاج مساعدةً ما، فلا يساعده. ولا يخفى أن هذه الأفكار وتلك المعتقدات خاطئةٌ، وليست من مبادىء ديننا الحنيف، فالإســلام دين الجماعة، وهو يحضُّ على تعــارف المسلمين، وتعاونهم على البر والتقوى، ومساعدة بعضهم البعض، والوقوف معًا صفًا واحدًا تجاه العدو، الذي يبغي تمزيق وحدةَ المسلمين، وغرس بذور الفرقة بينهم..

يقول رسول الله ﷺ: **«لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم»**[1].

ولن يتم هذا الحب في الله إلا بالتــعاون، والذي يبــدأ بإفشاء الســلام كمــا ذكر الرسول ﷺ.

ويقول الله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ (سورة المائدة: ٢).

---

(١) رواه مسلم، وأحمد، والترمذي وصححــه، أبو داود، وابن ماجه، وابن حبان، والبخاري في الأدب المفرد وغيرهم.

ويقول ﷺ ناصحًا بعدم العزلة من الناس، يقول: «المسلم الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، خيرٌ من المسلم الذي لا يخالط الناس، ولا يصبر على أذاهم»[١].

بل إن مخالطة الناس، ومساعدتهم قد تكون منجية للعبد من الهلاك. في الدنيا والآخرة.

أما في الآخرة، فيدل على ذلك حديث رسول الله ﷺ: «حوسب رجلٌ ممن كان قبلكم، فلم يوجد له من الخير شيء، إلا أنه كان يخالط الناس، وكان موسرا، وكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر. قال: قال الله عزَّ وجلَّ: نحن أحق بذلك منه، تجاوزوا عنه»[٢].

وكذلك فإن فعل الخير كما يُنجي العبدَ من الهلاك في الآخرة، فإنه يكون سببًا كذلك لنجاته من الهلاك في الحياة الدنيا.

يقول ﷺ: «صنائعُ المعروف تقي مصارع السوء»[٣].

هذا ولقد تواترت الأخبار الصحيحة بالحث على الأخوة الإيمانية، والتعاون بين المسلمين على الخير، ومساعدة ذوي الحاجات والمكروبين يقول ﷺ: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرَّج عن مسلم كربةً فرَّج الله عنه كربةً من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة»[٤].

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه مسلم وغيره.

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان»، والطبراني في «الأوسط الكبير» وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير».

(٤) الحديث متفق عليه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسـول الله ﷺ أنه قال: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه...»[(١)].

وفي سنن الدارمي عن رسول الله ﷺ : «مَنْ نفسَ عن غريمه، أو محا عنه كان في ظل العرش يوم القيامة»[(٢)].

وهي دعوة للصفح والعـفو، قال الله تعالى: ﴿فمنْ عفا وأَصلح فأجْرُهُ على اللَّه﴾ (سورة الشورى: ٤٠).

هذا وإذا كانت الأخوة العامة بين المسلمين على هذا القدر من الأهمية، وإذا كان الصفح حتى عن الغريم والعدو على هذه الدرجة من الكرامة والهدية، فكيف بمعاملة الجار، وأخوته، وإكرامـه، ومساعدته عند الحاجة، والوقوف بـجانبه في حالة الكرب والضيق والشدة؟!.

لا شك أن في إحسان معـاملة الجار وإكرامه الخير الكثيـر والثواب الجزيل، يقول ﷺ : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جَارَهُ»[(٣)].

وبالطبع من لا يكرم جـاره، فلا يكتـمل إيمانه بعد، فإكـرام الجار أحـد أخلاق المؤمن، وربما كان أحد شعب الإيمان.

والدليل على ذلك أيضـًا شدة التـوصيـة بالجار، يقـول ﷺ : «مازال جبـريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سَيُوَرِّثُه»[(٤)].

يعني من شدة توصيـة جبريل النبي ﷺ بالجار وحسن مـعاملته ظن ﷺ أنه ربما ينزل جبريل بعد ذلك بحق الجار في ميراث جاره...

---

(١) رواه مسلم وغيره.
(٢) سنه الدارمي (٢٤٩١).
(٣)، (٤) متفق عليه.

هذا وقد ذكر الإمام البيهقي في كتابه (شعب الإيمان) إكرام الجار ومما قال: «من شعب الإيمان إكرام الجار لقوله تعالى: ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ... ﴾ (سورة النساء: ٣٦).

قيل في تفسير ذي القربى: الجار الملاصق، والجار الجنب البعيد غير الملاصق، والصاحب بالجنب الرفيق في السفر، وعن ابن عباس ومجاهد وقتادة والكلبي ومقاتل بن حيان ومقاتل بن سليمان: والجار ذي القربى الذي بينك وبينه قرابة، والجار الجنب الأجنبي عنك، والصاحب بالجنب الرفيق في السفر...»[١].

ولقد حذر النبي ﷺ من إيذاء الجار، وجعل ذلك الأمر نقيضًا لإيمان الرجل.

فقال ﷺ: **«والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن» قيل: «من يا رسول الله؟» قال: «الذي لا يأمن جَارُهُ بَوَائِقَهُ»**[٢].

وزاد أحمد والبخاري في رواية أخرى: قالوا: **«يا رسول الله، وما بوائقُه؟» قال: «شره»**[٣].

وعنه ﷺ أيضًا قال: **«والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يُحِبَّ لجارِهِ - أو قال: لأخيه - ما يُحِبُّ لنفسه»**[٤].

ولهذا فقد كان ﷺ يتعوذُ من جار السوء فقال ﷺ: **«اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار المقامة، فإن جار البادية يتحوَّل»**[٥].

---

(١) مختصر «شعب الإيمان».
(٢) متفق عليه.
(٣) رواه البخاري وأحمد.
(٤) رواه مسلم.
(٥) رواه بن حبان في «صحيحه» وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» برقم (١٢٩٠).

بل إنه وعظ المسلمين أن يتعوَّذُوا بالله من جار السوء فقال ﷺ: «تعوذوا بالله من جار السوء في دار المقام فإن جار البادية يتحوَّل عنك»[(١)].

ولما كان إيذاءُ الجار منافيًا للإيمان، دلَّ ذلك على الحرص على عدم إيذائه أو مضايقته، لأنه مهما فعل المرء من أعمال الخير ثم آذى جاره، فإنه لا يتقبل منه تلك الأعمال.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رجل: يا رسول الله إن فلانة تكثر من صلاتها وصدقتها وصيامها غير أنها تُؤذي جيرانها بلسانها، قال ﷺ: «هي في النار»[(٢)].

قال: يا رسول الله فلانة تصلي المكتوبات وتتصدق بالأثوار من الأقط[(٣)] ولا تؤذي جيرانها، قال: «هي في الجنة».

ولما كان الإحسان إلى الجار بتلك المنزلة من القرب إلى الله تعالى، والإساءة إليه بتلك المنزلة من البعد عنه، وجب علينا أن نتعرف على حقوق الجار حتى نؤديها، وحتى نحسن إليه كمال الإحسان، ولا نسيء إليه في غفلة منًّا، أو عن طريق الخطأ أو الجهل بحقوقه، وهناك خبرٌ يُروى عن رسول الله ﷺ يقول فيه عن حق الجار: «إذا استعانك أعنته، وإذا استقرضك أقرضته، وإذا افتقر عدت عليه، وإذا مرض عُدتَه وإذا أصابه خيرٌ هنأته، وإذا أصابه مصيبةٌ عزَّيته، وإذا مات اتبعت جنازته، ولا تستطل عليه بالبنيان فتحجب عنه الريح إلا بإذنه[(٤)]، ولا تؤذه بقتار ريح قدرك إلا أن تغرف له منها، وإن اشتريت فاكهةً فأهد له، فإن لم تفعل فأدخلها سرًا، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده»[(٥)].

---

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٩٦٧).

(٢) رواه أحمد والحاكم وصحح إسناده وابن حبان في صحيحه.

(٣) الأثوار: جمع ثور وهو القطعة من الأقط، والأقط بفتح الهمزة وكسر القاف، ويجوز ضمها، وبكسر الهمزة والقاف معًا وبفتحها هو الجبن من لبن الغنم.

(٤) طبعًا إلا في حالات الضرورة، خصوصًا مع وجود أزمة في السكن.

(٥) رواه الخرائطي في «مكارم الأخلاق»، ورجَّح الحافظ المنذري وقفه.

هذه الأمور وأشباهها مما قد يعزز العلاقة بين الجيران، ويجعل المجتمع المسلم مجتمعًا مترابطًا، يجب أن نحرص عليها، ابتغاء وجه الله ومرضاته، وحرصًا على وحدة المجتمع المسلم والصف المسلم.

ولكن قد يتعرَّض بعض الجيران لأذى جاره فماذا يفعل؟

وقد يكون جارك جار سوءٍ، يسبب لك الأذى، ولا يأتيك من ورائه خيرٌ فماذا تفعل؟

قد يكون من الخير الصبر عليه، والإحسان إليه بدافع كفٍّ أذاه، واتقاء شرِّه، لكنه قد لا يرتدع، وعندئذ يجب أن نوقفه عند حده بالحسنى، ونتخذ لذلك الإجراءات القانونية كافةً.

ومن ذلك فضح سلكوه المشين، وإيذاءه الواضح للناس، بَعدٍّ ذلك نوعًا من الحرب الدعائية ضده، وهذا ما فعله صحابيٌّ اشتكى لرسول الله ﷺ إيذاء جاره له.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يشكو جاره، فقال له: «اذهب فأصبر، فأتاه مرتين أو ثلاثًا فقال: اذهب فاطرح متاعك في الطريق ففعل، فجعل الناس يمرون ويسألونه، فيخبرهم خبر جاره، فجعلوا يلعنونه، فعل الله به، وفعل، وبعضهم يدعو عليه، فجاء إليه جاره، فقال: ارجع فإنك لن ترى مني شيئًا تكرهه»[1].

وهذا مثال لما يسمونه اليوم الحرب النفسية أو الدعائية، حيث أن خروج الرجل بمتاعه إلى الطريق، جعل الناس يستاءون من ذلك الجار السيء، ويسبونه لما اضطر

(١) رواه أبو داود والحاكم وصححه على شرط مسلم، ورواه ابن حبان في صحيحه.

جاره إليه، ومن ثم شعر جاره بأنه أصبح منبوذاً من الناس، فعاد وأحسن، وكفَّ عن إيذاء جاره. طبعًا خروج الرجل بمتاعه كان يناسب ذلك العصر لقلة المتاع، ولظروف المجتمع، أما اليوم فيتخذ هذا الموضوع شكلاً بل أشكالاً أخرى، منها تحديث الجيران بمثالب ذلك الجار، وإيذائه المستمر لجاره، وإخبار أصدقائه بهذا الموضوع، وخلاف ذلك مما قد يؤثر على سلوكه الشاذ نحو جيرانه، فيجعله يرتدع ويكف عن إيذائه لهم.

كما يجب الحذر كل الحذر من جار السوء الذي لا يراعي الحرمات، ولا يحسن تربية أبنائه، لنحذر منه على أبنائنا وبناتنا، حتى لا يتسرب إليهم شيءٌ من سلوكياته، أو سلوكيات أبنائه ولا تنسَ الاستعاذة بالله من جار السوء، كما وصَّى بذلك الرسول ﷺ فيما سبق ذكره.





البيت المسلم
مع أهل الزوجين وذوي الأرحام

مما يؤسف له، أن كثيرًا من البيوت المسلمة، تتصدع علاقاتها مع الأهل وذوي الأرحام، فقد تجد زوجًا يقاطع أهله، أو يؤذي أمَّه إرضاءً لزوجه، أو امرأة تقاطع أهلها، أو إخوتها وأخواتها... إلخ، ولا شك أن هذه أمورٌ محرمةٌ، ولا ينبغي أن يتصف بها بيتٌ مسلم.

فما قيمة الأسرة المسلمة إن هي انقطعت عن الأهل والمجتمع، وتقوقعت داخل نفسها، ولم تنصهر في بوتقة صلة الأرحام، والتواد والتراحم بين المسلمين الذي أراده الله تعالى للمسلمين عمومًا، ولذوي الأرحام خصوصًا.

ونود أن نذكر الزوجين في هذا المقام بفضل الوالدين، وبرهما، والرفق بهما في الكبر خصوصًا، وعدم نسيان فضلهما، والرحمة بهما.

قال الله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ (سورة الإسراء: ٢٣-٢٤).

نعم قد يكون للوالدين بعض المتاعب في الكبر، سواء كانت هذه المتاعب جسدية أو نفسية أو سلوكية مثل تدخلهم في حياة الأبناء مثلاً، أو محاولة التأثير على سلوكياتهم وجعلهم يفعلون ما لا يرغبون، إلى غير ذلك من الأمور التي قد تتسم بها مرحلة الشيخوخة فالشيخوخة فيها الكثير من صفات الطفولة وهناك مثل شعبي

يقول: «يا مكبرنا يا مصغرنا» لكن هذا لا يعني بحال من الأحوال مقاطعتهما، أو إيذاء مشاعرهما، أو غير ذلك من أنواع العقوق، بل يجب الصبر عليهما، وأن نتذكر أنهما مهما فعلا، فلا يجب أن ننهرهما، لما قد بذلاه من جهد جهيد في تربيتنا في الصغر ورعايتنا، والصبر علينا، فلنصبر نحن عليهما اليوم، فمهما صبرنا فلن نؤدي ولا جزءً يسيرًا من حقهما علينا، ولنردد دائمًا قول الله تعالى: ﴿رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾.

إن التربية أمرٌ ليس سهلاً، ونحن جميعًا نقاسي ونعاني في تربية أولادنا، والعناية بشئونهم، فلنتذكر معاناة آبائنا، وتعبهم من أجل راحتنا. . .

فالحذر كل الحذر من عقوق الوالدين، فعن أبي بكرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر» - ثلاثًا -، قلنا: «بلى يا رسول الله»، قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين» وكان متكئًا فجلس، فقال: «ألا وقول الزور، وشهادة الزور» فمازال يكررها حتى قلنا ليته سكت[1].

وحذَّر الرسول ﷺ من عقوق الأمهات بصفة خاصة. فقال: «إن الله حرَّم عليكم عقوق الأمهات ووأدَ البنات، ومنعًا وهات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال»[2].

وعاق والديه بعيد عن الجنة وعن الرحمة، قال ﷺ: «ثلاثةٌ لا ينظرُ الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، ومدمن الخمر، والمنَّان عطاءه[3]، وثلاثة لا يدخلون الجنة: العاقُّ لوالديه، والديُّوث[4]، والرَّجَلَة[5]»[6].

(١) متفق عليه.
(٢) رواه البخاري وغيره.
(٣) يعني الذي يعطي الناس ثم يمن عليهم بعد ذلك.
(٤) الديوث: الذي يقر في أهله الخبث يعني الفاحشة والعياذ بالله.
(٥) الرجلة: المرأة المتشبهة بالرجال (المسترجلة).
(٦) الحديث رواه النسائي والحاكم وصحح إسناده.



فمهما فعل الوالدان، فيجب البرُّ بهما، وحسن صحبتهما، وعدم إيذاء مشاعرهما، حتى وإن ظلما.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ما من مسلم له والدان مسلمان يصبح إليهما محتسباً إلا فتح الله له بابين يعني من الجنة، وإن كان واحداً فواحداً، وإن أغضب أحدهما لم يرض عنه حتى يرضى عنه»، قيل: وإن ظلماه؟، قال: «وإن ظلماه»[1].

فحسابهما على الله تعالى، لكن الواجب عليك أنت أن تحسن إليهما في صحبتك لهما فعلاً، ولا تقل لهما إلا خيراً، وهل هناك ذنب أعظم من الشرك، يمكن أن يأمراك به؟

لقد أمرك الله تعالى بحسن صحبتهما حتى لو جاهداك لتشرك بالله، قال تعالى: ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (سورة العنكبوت: ٨).

فإن مخالفتهما في المعصية أمرٌ واجب، إذ أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، لكن لا تعني مخالفتهما حينئذ عقوقهما، أو الإساءة إليهما ولكن ﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ (سورة لقمان: ١٥).

وننبه هنا الزوجَ المسلمة المؤمنة، أن تتقي الله في حماتها، ولا تسئ إليها، ولا تحرِّض زوجها عليها، حتى لا يتسبب ذلك في عقوقه لها، وتكون هي السبب من وراء ذلك فتنال بذلك سخط الله عزَّ وجلَّ لأنها تدعوه إلى ضلاله، وفي الحديث الصحيح: «من دعا إلى هدىً كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من

---

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد».

أجورهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا»[١].

وعلى الزوج المسلم ألاَّ يُرْضِيَ زوجَهُ بسخط الله، لأن عقوق أمِّه يجلب سخط المولى تبارك وتعالى، وليوازن بين زوجه وأمه، فلا يظلم منهن أحدًا.

وإذا كان الزوج يسكن بعيدًا عن والديه، فإن عليه أن يبرهما ويسأل عنهما، ويودهما، ولا ينساهما في زحمة العمل، فإن برَّ الوالديْن من أحب الأعمال إلى الله تعالى.

عن عبد الله بن مسعود ﷺ: سألت رسول الله ﷺ، قلت: «يا رسول الله أي العمل أفضل؟» قال: «الصلاة لوقتها»، قلت: «ثم أي؟» قال: «ثم بر الوالدين»، قلت: «ثم أي؟» قال: «الجهاد في سبيل الله»، فسكت رسول الله ﷺ، ولو استزدته لزادني»[٢].

فانظر إلى منزلة بر الوالدين، وكيف أنه يفضل الجهاد في سبيل الله! فلا تهجر والديك، بل داوم السؤال عنهما، والاطمئنان على صحتهما، وقم برعايتهما إن لم يقم بذلك أحدٌ من إخوتك، إن احتاجا لذلك، فإن في ذلك عظيم الأجر والثواب.

وهكذا يعيش البيت المسلم بأفراده في حب وود وبر للأهل وللوالدين، وهكذا حين يجد الأبناء أن آباءهم وأمهاتهم يبرون والديهم، ينشأون هم أيضًا كذلك على بر الوالدين.

ويتعلمون احترام الوالدين، وعدم عقوقهما، بل والحرص على راحتهما، مع العلم أن الود يتوارث، وكذلك العقوق، فمن كان بارًا بوالديه فإنه إن شاء الله سيبره أبناؤه، ومن كان عاقًا لوالديه فقد يعقه أبناؤه كذلك، لذلك كان على الوالدين أن يُعلِّما الأبناء البر بالوالدين بالقدوة أولاً عن طريق برهما بوالديهما أولاً.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري.

وكما أن البيت المسلم يتصف ببر الوالدين وحسن طاعتهما والبعد عن عقوقهما، فكذلك يمتاز البيت المسلم بصلة الأرحام من ذوي القربى، مثل الإخوة والأخوات، والأعمام والعمات، والأخوال والخالات... إلخ.

وصلة الأرحام أيضًا واجبةٌ، وقطعها حرامٌ، قال الله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾ (سورة محمد: ٢٢-٢٣).

هذا ولقد استعاذت الرحم بالله من القطيعة، فوعدها الله تعالى بأن يصل من وصلها ويقطع من قطعها، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن الله خلق الخلق، حتى إذا فرغ من خلقه، قالت الرحم: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فهو لك».

قال رسول الله ﷺ: «اقرأوا إن شئتم ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ (سورة محمد: ٢٢)»[١].

هذا ولقد ثبت أن الله عزَّ وجلَّ توعد من قطع رحمه بالنار وبئس القرار.

قال ﷺ: «لا يدخل الجنة قاطعٌ» قال ابن أبي عمر قال سفيان: «يعني قاطع رحم»[٢].

والبيت المسلم لا يمكن أن يقطع أفراده أرحامهم، بل إنهم يصلون ذوي أرحامهم ويتوددون إليهم، كما أمر الله تعالى، ومهما يكن من معاملة ذوي الأرحام، فإن المسلم يجب عليه أن لا يقطع رحمه، وفي الحديث: «ليس الواصل بالمكافيء، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها»[٣].

---

(١) الحديث متفق عليه واللفظ للبخاري.
(٢) الحديث متفق عليه واللفظ لمسلم.
(٣) الحديث رواه البخاري وغيره.

قال الحافظ[1] في شرح هذا الحديث: «قوله: «ليس الواصل بالمكافىء» أي الذي يعطي لغيره نظير ما أعطاه ذلك الغير، . . . قوله: «الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها» أي الذي إذا منع أعطى. . . قال الطيبي: المعنى ليست حقيقة الواصل ومن يعتَدُّ بصلته من يكافىء صاحبه بمثل فعله، ولكنه يتفضل على صاحبه». . . وأقول: لا يلزم من نفي الوصل ثبوت القطع، فهم ثلاث درجات واصلٌ، ومكافىءٌ، وقاطعٌ.

فالواصل من يتفضل ولا يُتفضل عليه، والمكافىء الذي لا يزيد في الإعطاء على ما يأخذ، والقاطع الذي يُتفضل عليه، ولا يَتفضَّل، وكما تقع المكافأة بالصلة من الجانبين كذلك تقع بالمقاطعة من الجانبين فمن بدأ حينئذ فهو الواصل، فإن جوزي سُمي من جازاه مكافئًا والله أعلم».

إذن فليحرص أفراد البيت المسلم على أن يكونوا هم أصحاب صلة الأرحام، حتى وإن لم يقابلوا بنفس الصلة، حتى يكونوا عندئذ هم الفائزين بثواب الصلة.



(١) الحافظ بن حجر العسقلاني، فتح البـاري ١٠/ ٤٢٣)، ط دار المعرفة بيروت ١٣٧٩هـ ـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب.



البيت المسلم
والتعامل مع الضيف

البيت المسلم بيت كرم، وأصحابه كرامٌ، يعرفون أن إكرام الضيف من الإيمان، لقول رسول الله ﷺ : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»[1].

فالكرم صفة من صفات المؤمنين، والبخل صفةٌ من صفات المنافقين، والكريم السخي قريبٌ من الله تعالى.

يقول رسول الله ﷺ : «السخيُّ قريبٌ من الله قريب من الجنَّة قريبٌ من الناس، بعيد عن النار، والبخيلُ بعيدٌ من الله، بعيدٌ من الجنَّةِ بعيدٌ من الناس قريبٌ من النار، ولجاهلٌ سخيٌّ أحبُّ إلى الله من عابدٍ بخيل»[2].

ولا يجادل أحدٌ في أن الكرم صفة لكل مؤمن بحقٍّ، فلا ينبغي لمؤمن أن يكون بخيلاً، إذ هو يعلم أن الإنفاق في سبيل الله والله يُخْلِفُ على صاحبه.

يقول ﷺ : «يقول الله تعالى: يا ابن آدم أَنْفِقْ أُنْفِقْ عليك»[3].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «ما طلعت شمسٌ قط إلا بُث بجنبيتها ملكانِ يناديان يُسمعان أهلَ الأرض إلا الثقليْن[4]: يا أيها الناس هلموا إلى ربِّكُم

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه الترمذي وقال: «غريب» ورواه الدارقطني.

(٣) رواه مسلم وغيره.

(٤) الثقلين: الإنس والجن.

فإنّ ما قلّ وكفى خير مما كثر وألهى، ولا آبت شمسٌ قط إلا بُعث بجنبيتها ملكان يناديان يُسمعان أهل الأرض إلا الثقلين: اللهم أعط مُنفقًا خلفًا، وأعط مُمسكًا تلفًا»[1].

هذا ولقد كان الكرم صفة العرب قبل الإسلام، فكانوا يحبون الضيف، وكان الواحد منهم يحزن إن لم يأته ضيف، وكانوا يوقدون النار حتى يراها من بعيدٍ من هو غريب، فيعرف أن هناك أحدًا فينزل عليه ضيفًا.

وجاء الإسلام في هذا المجتمع فأقرَّ هذا الخلق العظيمَ، وجعله مبنيًا على أساس من الإخلاص لله تعالى وحده، ولقد ضرب الله تعالى لنا مثلاً في إكرام الضيف في كتابه العزيز في أكثر من موضعٍ، وذلك في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام، يقول الله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ ﴾ (سورة الذاريات: ٢٤-٢٧).

والمعنى أن الملائكةَ جاءت إبراهيم عليه السلام في صورة بشر فظنَّهم ضيفًا، فذهب مسرعًا إلى أهله وجاء بعجل سمين فذبحه وشواه وصنع منه طعامًا شهيًا، ثم قربه إلى الضيف ليأكلوا.

وقال لهم في أدب جم: «ألا تأكلون» يعني بلغتنا: «تفضلوا الطعام» وبقية القصة معروفة، والشاهد هنا هو إسراع إبراهيم عليه السلام بإحضار الطعام للضيف، واختياره لأحسن أنواع الطعام، وتقديمه هذا الطعام في صورة طيِّبةٍ، وبأدبٍ رفيع.

وهكذا يكون البيت المسلم...

(١) رواه أحمد وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه.

ولتقديم الطعام والاستضافة آداب نذكر منها:

١ - أن يُسْرِعَ بتقديم الطعام أو الشراب:

فلا ينبغي أن يتباطأ صاحب البيت في تقديم واجب الضيافة للضيف، حتى لا يسبب له الحرج، وليتخذ من قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع ضيفه مثلاً يُحتذى، يقول الله تعالى: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴾ (سورة الذاريات: ٢٦).

وكلمة (فراغ) تعني فأسرع، إذن يجب عدم التأخر على الضيف في تقديم واجب الضيافة.

٢ - أن يقدِّمَ أحسنَ ما عنده للضيف:

وهذا طبعًا بقدر الاستطاعة، ولا يعني احتقار شيء ما من طعام أو شراب ونحوه، بل يقدم أفضل ما لديه بقدر استطاعته، ولا يتكلَّف ما لا يستطيع، لأن التكلُّف للضيف مكروهٌ، لأنَّه يجعل الرجلَ يكره الاستضافة، وهذا ليس من الآداب الإسلامية، بل يجب تقديم ما يستطيع مع عدم التكلُّف، ولا يرهق الرجل نفسه بإحضار ما يشقُّ عليه.

٣ - أن لا يقدمَ للضيف شيئًا غريبًا لم يتعوَّدْ عليه:

فلا يُقدِّمْ له طعامًا غير معتاد عليه، أو غريب عنه، فقد لا يفضله، ومن ثم يسبب له الإحراج، أو الضرر، وهذا ليس من حسن إكرام الضيف، لأن النفس قد تعافُ ما لم تتعوَّدْ عليه من الطعام، كما عافت نفسُ الرسول ﷺ الضبَّ فلم يأكله، روى ابن عباس عن خالد بن الوليد رضي الله عنهم أنه دخل مع رسول الله ﷺ على ميمونة، وهي خالتُه، وخالة ابن عباس، فوجد عندها ضبًّا محنوذًا[١]، قدمت به أختها حفيدة بنت الحارث من نجد، فقدمت الضب لرسول الله ﷺ، وكان قلما يقدم يده لطعام حتى يُحدَّثَ به، ويُسمَّى له.

---

(١) يعني مشويًا.

فأهوى رسـول الله ﷺ يده إلى الضبِّ، فـقالت امـرأة من النسوة الحـضور: أخبرت الرسول ﷺ ما قدمته له؟ هو الضبُّ يا رسول الله.

فرفع رسول الله ﷺ يده عن الضبِّ، فقـال خالد بن الوليد: أحرام الضبُّ يا رسول الله؟، قال: «لا، ولكن لم يكن بأرض قومي، فأجدني أعافه»[1].

فلا ينبـغي أن نقدم طعامًـا للضيف إلا طعامًا قـد تعوَّد عليه، وتعـرَّف عليه من قبل، ولا نقدِّم له طعامًا غريبًا عليه، مهما كان مفضلاً لدينا.

٤ ـ أن يقدَّمَ من الطعام أو الشراب قدر الكفاية:

وقدر الكفـاية هنا يعني لا أقل ولا أكثر من المطلوب، فإن الإسـلام قد نهى عن الإسراف. قال الله تعالى: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (سورة الأعراف: ٣١).

ولأنه قد نهى عن التـفاخر والتباهي بالطعـام والشراب ونحوه، قال بن مـسعود ﷺ: «نُهينا أن نُجيبَ دعوة مَنْ يباهي بطعامه، وكره جماعةٌ من الصحابة أكل طعام المبـاهاة، ومن ذلك كـان لا يُرفع من بين يدي رسول الله ﷺ فـضله طعـام قط، لأنهم كانوا لا يأكلون إلا قدر الحاجة ولا يأكلون تمام الشبع. . .»[2].

لهـذا فإن فـضلات الطعـام التي يُرمى بهـا في المزابل، والتي تفـيض من بعض الموائد، والتي قد تكفـي لطعام الكثيـر من المساكين والفقـراء والجوعى من المسلمين، هذه الفضلات من فـتات الموائد لم تأت إلا نتيجة السـرف والبذخ والترف المنهى عنه شرعًا، ولو أدرك القائمون بهذه الموائد خطورة هذا السرف لما فعلوه.

---

(١) الحديث بهذا اللفظ رواه البخاري ومسلم.

(٢) «إحيـاء علوم الدين ٢/ ١٧» لحـجة الإسـلام أبي حامـد الغزالي المتـوفي سنة ٥٠٥هـ ـ ط دار المعرفة ـ بيروت.

إذ أنه في ظلٍّ الجوع والفقر والعرى الذي يجتاح مناطق كثيرةً من بلدان العالم الإسلامي، يتفنَّنُ البعضُ في صرف المبالغ الطائلة على الموائد من أجل التباهي والتفاخر فقط لا غير، والتي يكفي فتاتها وبقاياها لإطعام هؤلاء الجوعى والفقراء.

والأسرة المسلمة لا تعرف هذا السرف، وذلك التباهي والتفاخر، لكنها تعرف الاعتدال في الإنفاق، والاقتصاد حيث أنه من أجزاء النبوة. قال ﷺ: «التؤدة والاقتصاد والسمت الحسن جزء من أربعة وعشرينَ جزءً من النبوة»[1].

٥ ـ أن يُقدِّم قبل الطعام بعض الفاكهة أو العصير، وذلك تمهيدًا للطعام، وحتى لا يجلس الضيف ينتظر الطعام فيشتد جوعُه، وقد قيل إن في تقديم الفاكهة قبل الطعام فوائدَ عدةً، وربما استدلوا بذلك بقوله تعالى: ﴿ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ (سورة الواقعة: ٢٠-٢١).

وقالوا أن ذكر الفاكهة قبل الطعام، قد يدل على استحباب تقديم الفاكهة على الطعام، ورجَّح هذا حجة الإسلام أبو حامد الغزالي في الإحياء.

٦ ـ ان لا يرفع الضائف يده عن الطعام أولاً:

وذلك حتى لا يحرج الضيف، فربما يكون الضيف لم ينته من العطام بعدُ، ولهذا فينبغي أن يكون الضائف هو آخر من يترك الطعام، ويقوم عنه.

٧ ـ أن لا يرفع الطعام قبل أن يتأكَّدَ من تمام أكل الضيف، وأن يدعو الضيف للاستزادة من الأكل، وأن يقرِّبَ منه الطعام، ولا يجعله بعيدًا عنه، بل يجعله جميع أصنافه في متناول يده.

٨ ـ أن يُبديَ له سرورَه وسعادتَه بضيافته، ثم يقدم له ما يحبُّه من أنواع الحلوى بعد الطعام، أو ما يحب من الشراب ونحو ذلك، وطبعًا أن يتحرَّى الحلال في أنواع الطعام والشراب الذي يحضره.

---

(١) رواه الطبراني وغيره وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير».



البيت المسلم والمسجد

ينبغي أن يكونَ هناك نوعٌ من الارتباط بين البيت المسلم والمسجد، فالوالد يذهبُ إلى المسجد لأداء فريضة الصلاة، وكذا المرأةُ إن لم يشغلها شاغل، حيث أنه لم يفرض عليها صلاةُ الجماعة في المسجد، لكن إن أرادت الذهاب إلى المسجد فلا يوجد ما يمنعها لقوله ﷺ: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله»[1].

وينبغي ألا يقتصر ما بين المسلم والمسجد، وما بين البيت المسلم والمسجد على أداء الصلوات فحسب، بل إن المسجد يُعَدُّ جامعة المسلمين، ففيه يلتقون، ويتعارفون، ويتبادلون التحية، والاطمئنان على بعضهم البعض، ويتعاونون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان. ويحضرون مجالسَ العلم التي يتفقهون فيها في دينهم، ممتثلين قوله ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»[2].

إنهم حقًا يعمرون مساجد الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ (سورة التوبة:١٨).

وعمارة المسجد ليست بالصلاة فيه فحسب، بل بالصلاة والذكر وتلاوة القرآن ومدارسته، ومدارسة العلم، والتناصح في الله ورسوله ولله ورسوله، والتعاون على البر والتقوى، وغير ذلك من أوجه الخير، وهي كثيرةٌ، ويصعبُ حصرُها، كما أن الرجل المسلم في أسرته يسعى لأن يجعل هناك رابطًا بين الأسرة والمسجد، ويعلّم

---

(١)، (٢) متفقٌ عليهما.

أبناءه ارتياد المسجد، ومحبته، فينشأ أولاده وقلوبهم معلَّقة بالمسجد، فيكونون ممن يظلهم الله في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه، هذا وقد أمر الرسول ﷺ بتعليم الأولاد الصلاة لسبع سنين، وضربهم عليها عند بلوغهم عشر سنين، وذلك حتى يلتزموها منذ الصغر، ولا يستثقلوها عند الكبر، يقول ﷺ: «مُرُوا أولادكم بالصلاة لسبع سنين، واضربوهم عليها لعشر، وفرِّقوا بينهم في المضاجع»[(١)].

وينبغي أن يحافظ الأب في الأسرة على صلاة الجماعة، حتى يكون قدوةً صالحةً لزوجه وأولاده، وليعلم أنه عند تهاونه في أمر الصلاة، فإنه بذلك يضرب المثل السيء لزوجه وأولاده، وليحفظ قوله الحق تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ (سورة النساء: ١٠٣).

وليتمثل هذا القول عملاً وتطبيقًا، وليس حفظًا باللسان فحسب، حتى لا يكون القرآن حجةً عليه، إنما يكون حجةً له إن شاء الله تعالى، وليضع نصب عينيه أيضًا قول الحبيب المصطفى ﷺ: «صلاةُ الجماعة تعدل صلاةَ الفذ[(٢)] بسبع وعشرين درجةً»[(٣)].

فلا يتهاون عن صلاة الجماعة، ولا يتركها إلا بعذر، ويتعوَّد الصلاة في المسجد، حتى يتعوَّدها أبناؤه كذلك.

كذلك فإنه ينبغي للزوج أن يبعث بزوجه إلى المسجد لتتعلَّمَ أمور دينها، خصوصًا إذا لم يكن يقوم هو بهذا الواجب معها، لأن تعلُّمَ المرأة أمورَ دينها، خصوصًا ما تصحُّ به عبادتُها أمرٌ واجب، ويقول الرسول ﷺ: «وطلب العلم فريضة على كل مسلم»[(٤)].

(١) رواه أحمد وأبو داود والحاكم بألفاظ متقاربة.
(٢) الفذ: يعني الفرد.
(٣) رواه البخاري ومسلم.
(٤) رواه ابن ماجه وغيره وصححه الألباني.

ولفظ مسلم الواردة في الحديث يشمل الذكر والأنثى، كما أجمع على ذلك العلماء، بل إن الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ صحَّح أحد طرق هذا الحديث والذي فيه «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»(١).

فصحَّت إذن لفظًا ومعنىً، وقد كان النساء على عهد الرسول ﷺ يستمعن لأحاديثه مع الرجال، وطلبن منه أن يُخَصِّصَ لَهُنَّ يومًا يعظهنَّ فيه فيما يخصُّهن، فحدد النبي ﷺ لهنَّ يومًا يعظهنَّ فيه فيما يخصهنَّ.

ونحن الآن وفي ظل هذا الجهل الفاضح لأمور الدين لدى كثيرمن قطاعات المجتمع، وخصوصًا لدى النساء، فإنه يتحتم علينا أن نسمح للنساء بالذهاب إلى المسجد لحضور دروس العلم والمخصصة لهنَّ بصفةٍ خاصة وهذا لا يمنع من حضورهن دروس العلم بصفة عامة، لتعلُّم أمور الدين ولفهم الدين فهمًا صحيحًا، ما دام أنهن التزمن الآداب الشرعية المطلوبة والمعروفة.

إن هناك اليوم الكثير من المجتمعات النسائية، والتي تهدف لنشر أمور قد تكون في كثير منها بعيدة عن الإسلام، لذلك وجب توعية المرأة المسلمة، وتحذيرها من مثل تلك الدعوات، وبيان الشبهات التي تُثار حول وضع المرأة المسلمة في المجتمع وحول حقوقها، وغير ذلك من الأمور الخاصة بالمرأة، ينبغي بيان تلك الشبهات ودحضها، حتى تكون المرأة المسلمة فاهمة واعية لما يدور حولها، وتستطيع الردَّ على

---

(١) انظر تعليقه على كتاب «حقوق النساء في الإسلام» لمحمد رشيد رضا.

من يشككون في بعض الأمور، ويتخذون من الشبهات معبراً لقلب النساء اللاتي يجهلن حقيقة الدين.

إن المرأة المسلمة تحتاج لقدر كبير من الثقافة الدينية، والدنيوية، حتى تستطيع التعامل مع معطيات العصر، ومتطلباته، وحتى تكون قادرة على قيادة ابنائها في خضم الأفكار المتلاطمة إلى برِّ الأمان، وحتى تكون على بيِّنة من أمر تربية الأطفال وحسن توجيههم، وتربيتهم تربية سليمة، بعيدة عن الغلو والتسلط، كذلك بعيدة عن التسيُّبِ والانحلال.





البيت المسلم
وعلاقته بالفقراء والمساكين

ينبغي للبيت المسلم أن يجعل من ميزانيته جزءً للفقير والمسكين، يتصدق به عليه، وينبغي أن يعوِّد الأب أبناءه على الصدقة على الفقراء والمساكين، منذ الصغر، فيعطي ابنه الصغير المال ليعطيه هو بنفسه للفقير أو للمسكين، فيتعوَّد الابن الصدقة منذ الصغر، أو يعطيه المال ليضعه في خزينة المسجد ليساعد في عمارة بيوت الله... إلى غير ذلك من أوجه الصدقات المختلفة.

وينبغي أن يبدأ البيت المسلم بالتصدق على الأقارب وذوي الأرحام، ومساعدة المحتاجين منهم، فالأقربون أولى بالمعروف، ولا يعقل أن يترك الرجل ذوي رحمه فقراء يتكففون الناس، ويتصدق على الغرباء!.

وينبغي أن يعلم المسلم أن للفقراء من ذوي رحمه وغيرهم حقًا في ماله، وهذا الحق هو الزكاة الواجبة، وكذلك حق الماعون والمساعدة وصلة الرحم.

قال الله تعالى عن المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (سورة المعارج: ٢٤-٢٥).

فلا يظن المسلم أن ذلك فضل منه عليهم، بل هو حقٌ لهم معلومٌ ومقدر بمقداره المعروف. فلا يبخل بحق الله على أصحابه، فالزكاة طُهْرَةٌ للعبد وللمال، وتزكيةٌ له.

قال الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ (سورة التوبة: ١٠٣).

كذلك لا يمن عليهم بصدقته ولا بمساعدته، حتى لا يُحبطَ عمله، وحتى لا يبطل صدقاته، قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (سورة البقرة: ٢٦٤).

يقول الحافظ بن كثير في تفسير هذه الآية: «قال الضحاك: والذي يتبع نفقته منًّا أو أذى (فمثله كمثل صفوان) وهو جمع صفوانة... وهي الصخر الأملس عليه تراب، فأصابه وابل، وهو المطر الشديد، فتركه صلدًا، أي فترك الوابل ذلك الصفوان صلدًا أي أملس يابسًا، أي لا شيء عليه من ذلك التراب، بل قد ذهب كله، أي وكذلك أعمال المرائين تذهب وتضمحل عند الله، وإن ظهر لهم أعمال فيما يرى الناس كالتراب، ولهذا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين»[١].

هذا ولقد جاء من طرقٍ صحيحةٍ عن النبي ﷺ أن المنَّان هو الذي يمنُّ على الناس بما أعطى وهو من الأصناف التي لا تدخل الجنة، ولا ينظر إليهم ربنا تبارك وتعالى.

فعن أبي ذر عن رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، ذكر منهم المنان بما أعطى...**»[٢].

وعلى المسلم أن يتصدق كذلك على الفقراء من جيرانه، ولا يحق لمسلم أن يبيت شبعان وجاره جائعٌ وهو يعلم ذلك، نعم ليس هذا من أخلاق المؤمن.

---

(١) تفسير بن كثير (٣١٩/١) للحافظ بن كثير المتوفي سنة ٧٧٤هـ، ط. دار الفكر ـ بيروت ـ ١٤٠١هـ.
(٢) رواه مسلم في صحيحه.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما آمن بي من بات شبعانَ وجارُه جائعٌ إلى جنبه، وهو يعلم»[1].

كذلك فإن البيت المسلم يجعل من نفقاته نصيبًا مهما كان ضئيلاً لمساعدة إخوانه المسلمين ممن يتعرضون لكوارث في بلاد العالم الإسلامي، وليتبرع بماله لإخوانه المشردين في فلسطين، وفي غيرها من الدول التي يُجمع لها التبرعات، لأن المسلمين جميعًا أمَّةٌ واحدة، ومصابهم واحدٌ، وهم كالجسد الواحد كما أخبر بذلك المصطفى ﷺ حين قال: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى عضو منه تداعى سائره بالحمى والسهر»[2].

وقال ﷺ أيضًا: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضا»[3].

نعم إنها رابطة متينة، وعروة وثقى، تلك التي ينبغي أن يترابط بها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، هذا ما أراده الإسلام من المسلمين، وهذا ما يدعو البيت المسلم للوقوف مع المسلمين المستضعفين في كل مكان على قدر طاقته ووسعه.



(١) رواه الطبراني والبيهقي والبزار بإسناد حسن ورواه البخاري في الأدب المفرد بلفظ: «ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع».

(٢)، (٣) متفق عليهما.



البيت المسلم والأصدقاء

وهنا نعرض لثلاثة أنواع من الصداقات:

١ ـ أصدقاء الزوج.

٢ ـ صديقات المرأة.

٣ ـ أصدقاء الأبناء.

أولاً: أصدقاء الزوج:

في البداية نقول للزوج ما نصح به رسول الله ﷺ أصحابه بقوله: «**لا تصاحب إلا مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلا تقيٌّ**»[1]، فالصديق المؤمن مؤتمنٌ، وحينما يدخل بيتك فإنه سيكون حافظًا للأسرار، غاضًا للبصر، غير متلصِّصٍ، ولا مُطَّلِعٍ على ما لا يُسمح له به.

فالصديق المسلم يعلم حق المسلم، فلا يجور عليه، وهو يعلم آداب الإسلام فيحترمها، ويقدِّر صديقه وخصوصيَّاته، ويحترمها، هذا وإن الصديق يُعَدُّ صورة لصديقه، ومرآةً عاكسةً لسلوكياته ولهذا قال ﷺ: «**المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**»[2].

---

(١) رواه أبو داود والترمذي وحسَّنه، والحاكم وصحح إسناده وابن حبان في صحيحه وأحمد وغيرهم.

(٢) رواه الترمذي.

وقديمًا قال الشاعر:

عن المرء لا تسألْ وسل عن قرينهِ ** فإن القرينَ بالمقارنِ يَقْتَدِي

فمن هذا الباب أو ذاك ينبغي على المسلم أن يُحْسِنَ اختيارَ صديقِه، خاصةً الرجل صاحب السلطة فى البيتِ، والذىَ يُمَثِّلُ القدوةَ والمثلَ لرعيَّتِهِ، زوجه وأولاده.

كذلك ينبغى أن يكونَ لأصدقاء الزوج حدودهم التى لا يتعدونها، فلا يتدخَّلُون فى خصوصيات الزوج، ولا يحكي لهم أسرارِ بيته، ولا اسرار زوجِهِ، فإن معظم المصائب تأتى من هذا الباب.

وهذا ليس لعدم الثقة بهم كما يَظُنُّ البعض، كلا، فمهما كانوا أهْلاً للثقة، فلا ينبغى أن تطلعَهم على خصوصياتك، ليس لعدم ثقتك بهم. ولكن حفظاً لأسرارِ بيتِك التى أنت مُكَلفٌ بحفظها، والتى بإفشائها تكون قد هتكت ستره. إن التزامَ حدودِ الآداب الإسلامية مع الأصدقاء أمر مهم، خصوصاً فى الزيارة، ودخول البيت.

ولقد حاول الغربُ جاهداً، وبشتى السبل، أن يغرسَ ثقافته فى التعامل بين الرجل والمرأة في مجتمعاتنا المسلمة، لكنه أخفق أشدَّ إخفاق، على الرغم من أنه استخدم لهذا الغرض أناساً هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، بل وقام بتلميعهم، وجعلهم نجوماً وكواكبَ لكن الفطرة السليمة لشعوبنا المسلمة، أبت ذلك الانحلال الخلقى، خصوصاً ما يتعلَّقُ بالعلاقة بين المرأة المتزوجة وأصدقاء الزوج أو غيرهم من الأجانب، مثل مراقصة المرأة لرجل غير زوجها ونحو ذلك من بدع الغرب التى أودت بأخلاقِهِ. وإن كان المجتمعُ الإسلامى لم يسلم من بعض سموم الغرب الخلقية، لكن لا يزال بعافية، ولا يزال علاجه ممكناً.

ثانيًا: صديقات المرأة:

لا يوجد ما يمنع المتزوجة من تكوين صداقات سوية، بل إن ذلك يُعَدُّ أمراً مُستحبًا، لكن بشروط:

١ - أن تصادق النساء الفاضلات: فلا ينبغي لها أن تصادق نساءً تحوم حولهن الشبهات مثلاً، ولا أن تصادق على غير أخلاق الإسلام، وهذا لا يمنع من دعوتها مثل هذه الأصناف للحسنى، لكن لا تتخذ منهن صديقات، لأنها قد تتأثر بهن سلبًا، أو يتسببن لها في بعض المشكلات، والتي قد لا يخلو منها من على علاقة بمثل هؤلاء النسوة.

٢ - أن تحترم رأي زوجها في إمكانية دخول هؤلاء الصديقات للبيت: فقد يكون للزوج رأي معينٌ في صديقات امرأته، أو في أي واحدة منهن، بحيث يخشى من دخولها البيت حتى لا تحدث فتنة بين الزوج وزوجه أو أن يكتسب منها الأبناء بعض الصفات التي لا يريدها الزوج فيهم..

وعمومًا فإن المرأة مطالبةٌ شرعًا بأن لا تُدخل بيتها أحدًا لا يرضاه الزوج، قال ﷺ في خطبته في جمع الوداع: **«فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلت ذلك فاضربوهن ضربًا غير مبرح»**[١].

إن كثير من المصائب، والكوارث حلت على البيوت من جراء صداقات سيئة للزوج، كان من شأنها أن أحدثت الفتنة بين الزوج وزوجه، وأفسدت علاقة الزوج بزوجه، ولقد حذَّر النبي ﷺ من مثل هذا الضنف الذي يفسد العلاقة بين الزوجين، فقال ﷺ: **«ليس منَّا مَنْ خَبَّبَ[٢] امرأةً على زوجها، أو عبداً على سيده»**[٣].

---

(١) رواه مسلم وغيره.

(٢) خبب: يعني أفسد.

(٣) رواه أبو داود وأحمد وابن حبان في صحيحه، والبيهقي في «شعب الإيمان».

٣ - أن تبقى هذه الصداقات بعيدة عن أسرار البيوت: وكما ذكرنا من حرص الرجل على أسرار البيت، فكذلك الحال بالنسبة للمرأة، فلا يجوز لها بتاتًا أن تطلع صديقتها على ما يمكن عَدُّهُ سرًا من أسرار البيت، أو من أسرار الزوج وأعماله، في البيت وخارجه.

ولا يخفى بالطبع أن المرأة بصفة عامة كثيرة الكلام، وأقل حفظًا للأسرار من الرجل، هذا ينطبق على معظم النساء، وطبعًا ليس معناه أن المرأة غير مؤتمنة على السر بصفة عامة.

وعندما تراعي المرأة تلك الأمور وغيرها مما يحفظ بيتها وأسرتها من المشكلات، والخلافات، فلا مانع عندئذ من أن تحسن صداقاتها مع من تعرف من النساء، من منطلق الحب في الله، الذي وصَّى به الإسلام.

وليس من منطلق المنافع والمصلحة، حتى تكون صداقات خالصة لله تعالى وتأخذ عليها الأجر والثواب، ومن ثم تكون صداقات تعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، بكل أنواع البر المعروفة والمتاحة.

وعلى المرأة أن تصبر على طباع صديقاتها، ولا تخسر صديقاتها لأسباب تافهة، مَا دُمْنَ من أهل الخير والبر.

٣ - أصدقاء الأبناء:

ينبغي الحرص على الأبناء من أصدقاء السوء، ذلك لأن الابن مهما كنت مُهتمًا به، فإنه يتأثر بدرجة كبيرة بأصدقائه، خصوصًا في مرحلة المراهقة، ويُعُوِّلُ كثيرًا على آراء أصحابه فيه، ويجب أن يكون كما يريدون، وكما يحبون، إن الأصدقاء يؤثِّرون

بشكل ملحوظ في سلوك المراهقين بصفة خاصة، بـل إنَّنا أحيانًا كتربويين ينبغي علينا أن نواجه، أو نضطر أن نواجـه ضغط جماعـة الأصدقاء، أكثـر من أن نواجه سلوك الفرد الواحـد، حيث أن ضـغط الجمـاعة على الفـرد في هذه الفترة، هو مـا يُشكِّلُ التحدي الأكبر للقائمين على العملية التربوية، وقد يكون علاج سلوك الفرد بعيدًا عن الالتفات لجماعة أصدقائه، وسلوكياتهم وتعديلها جنبًا إلى جنب، مع تعديل سلوكه، قد يكون ذلك العلاج المنفرد غير ذي جدوى.

فالمـراهق ينظر لنفسـه من خلال أصـدقائه، بل ويرى أوامـر الوالدين قـيودًا تُفرض عليه، ويظن أنها تمثل تقييدًا لحريته، أكثر منها توجيهًا لسلوكه الخاطىء من وجهة نظرهم.

وعلى سبيل المثال إذا كان المراهق ينتمي لجماعة أصدقاء، يَرَوْنَ التدخين نوعًا من الحفاظ على الرجولة والدلالة على النضج، فإنه لن يقتنع بتوجيه الوالدين بتركه مهما أفاضا في ذلك.

لابد عندئذ من علاج جماعي لهذه المجـموعة، أو العمل على فصل هذا المراهق عنهم، والتزامه بمجموعة أصدقاء أخرى ترى عكس ما ترى الأولى.

وينبـغي أن يأتي هذا عن طريق الإقناع والحـوار والمناقـشـة، وليس عن طريق التهـديد والوعيد، لأنه إن جـاء ذلك عن طريق التهديد والوعـيد بغيـر اقتناعٍ، فلن يفلح هذا الجهـد، وسيظل المراهق مع عـلاقاته مع أصدقـائه أولئك متـحديًا سلوك الوالدين تجاهه.

وكما نعلم أن الوقـاية خير من العلاج، إذًا فلا ينبـغي لنا أن نترك الابن وحاله، مهملين متابعته حتى لا يقع في شرك أصدقاء السوء.

ويجب أن نحثَّه أولاً على اختيار الصحبة الصالحة، مبيِّنين له مثالب الصحبة السيئة ومضارها، وخطورتها، من خلال الدليل العقلي والنقلي.

فعن طريق العقل وبالأمثلة ومن خلال الحكايات والقصص ونحوها نرشده إلى خطورة أصدقاء السوء، وكيف إنهم يوردون صاحبهم المهالك.

ومن خلال الأدلة النقلية من الكتاب والسنة وغيرها نبيِّن له أيضًا كيف أن الرفيق الصالح يكون خيراً له في دينه ودنياه.

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك، ونافخ الكير، فحامل المسك، إما أن يُحذيك (١)، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة**» (٢).



(١) الحذية: العطية.

(٢) رواه البخاري.



البيت المسلم
ومؤسسات المجتمع الأخرى

وفي هذا البند نتناول باختصار علاقة البيت المسلم وتفاعله مع المؤسسات الأخرى للمجتمع خلاف المذكورة آنفًا، ومن هذه المؤسسات:

- المدرســة.
- النــوادي.
- المؤسسات والجمعيات الخيرية.
- المؤسسات الأهلية الأخرى.
- المنظمات العالمية.

إن تفاعل البيت المسلم مع مثل المؤسسات الســابقة، يُبنى على مبدأ عام، يُستقى من قوله تعالى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ﴾ (سورة هود: ٨٨).

وكذلك من قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (سورة المائدة: ٢).

وأمثال ذلك، هذا المبدأ يجب أن يضعــه البيت المسلم نصب عينيه عند تعامله مع تلك المؤسسات، فهو الإسلام والتعاون على البر والتقوى.

فمثلاً وبخصوص المدرسة، ينبــغي أن يتعاون ولي الأمر مع إدارة المدرسة خدمة للعملية التعليمية، مستفيدًا بكل الوسائل الممكنة في هذا الإطار، فيشارك ولي الأمر في مــجلس الآباء الخاص بــالمدرسة، ويســاهم فــيه بما يســتطيع من قــدرات ماليــة

وغيرها، فإن احتاجت المدرسة مثلاً لمساعدة مالية، وكان قادرًا على ذلك، فإن عليه أن يقوم بالتبرع لها، وإن احتاجت لمساعدة مهنية معينة، وكان قادرًا على توفيرها فعل ذلك. . .

كذلك فإن عليه مساعدة المدرسة في الدور الذي تقوم به عن طريق توعية الطالب بدوره في المدرسة، وحقه على احترام المعلم وإدارة المدرسة، والتعاون معهم تعاونًا إيجابيًا فعّالاً.

وعدم العبث بأثاث المدرسة أو تخريبه، ثم القيام بدوره المنوط به كطالب، بأن يستذكر دروسه ولا يؤخر عمل اليوم إلى الغد، وأن يرشد زملاءه لذلك. . .

مثل هذه الأمور، وغيرها ينبغي أن يقوم بها البيت المسلم تجاه المدرسة كمؤسسة من مؤسسات المجتمع الذي يعيش فيه.

▪ كذلك ينبغي أن يشارك أفراد الأسرة في نشاطات النوادي الاجتماعيّة والرياضية، ويدفعوا بالأبناء نحو ممارسة الرياضة في المكان المخصّص لها مثل النوادي.

وليعلم الآباء أن ممارسة الأبناء للرياضة منذ صغرهم أمر مهم وضروري، ويربّي فيهم أخلاقًا أساسية مهمة، قد لا يكتسبونها بغير ممارسة الرياضة.

كما أن ممارسة الرياضة مهمةٌ لبناءِ الجسم بناءً سليمًا خاصة في مرحلة النمو للطفل، سواء مراحل الطفولة المختلفة، أو المراهقة بصفة خاصة، كما أن الرياضة تشغل الطالب، وتملأ أوقات فراغهِ، فلا تجعله يكثر السرحان، وأحلام اليقظة، التي تُعَدُّ سمةً من سمات المراهقين.

وينبغي أن نُعلِّمَ الأولاد أن المسلم القوي خيرٌ وأحب إلى الله من المسلم الضعيف، يقول ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كلٍّ خير»[1].

(١) رواه مسلم وغيره.

إن الاشتراك في النادي الاجتماعي الرياضي يوجه نشاط الطفل والمراهق توجيهًا سليمًا، ويجعله اجتماعيًا غير منطوٍ ولا خجولٍ يستطيع أن يتعامل مع الناس في المستقبل القريب تعاملاً ناضجًا.

■ كما أن مشاركة البيت المسلم في المؤسسات الخيرية ودعم نشاطاتها أمر له أهميته، حتى تُفعَّلَ تلك المؤسسات ولا تصبح كيانًا يمثل عبئًا على أصحابه، أو حبرًا على ورق.

حيث أن هذه المؤسسات هي مؤسسات تخدم المجتمع بالدرجة الأولى، فإن لم يشارك أفراد المجتمع في نشاطاتها قد لا تفلح في القيام بدورها المأمول.

إن مشاركة أفراد الأسرة في نشاطات مؤسسات المجتمع الخيرية والجمعيات الأهلية وغيرها، يفتح أمامهم آفاقًا من المعرفة، ويجعلهم على خبرة ودراية بمشاكل المجتمع وكيفية حلها، وسبل النهوض به، كما يتيح لكل منهم التعرُّف على الأسس والفلسفات التي تقوم عليها تلك المؤسسات والجمعيات، ونقدها وتوجيه أصحابها لتقويهما وتعديل ما فيها إن كان فيها شيءٌ يخالف الشريعة، أو يخالف المبادىء التي تقوم عليها الشريعة، وذلك من باب النصح في الله، وقوله ﷺ: «**الدين النصيحة**»، **قلنا: «لمن يا رسول الله؟» قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»**[1].

■ كما ينبغي على الأسرة أيضًا أن تتفاعل مع المنظمات العالمية المحترمة التي تهتم بالمبادىء العامة التي يدعو إليها الإسلام، كحقوق الإنسان والحيوان، والحفاظ على البيئة، وغيرها من المنظمات، ويمكن التعرُّف على نشاطات هذه المنظمات عن طريق

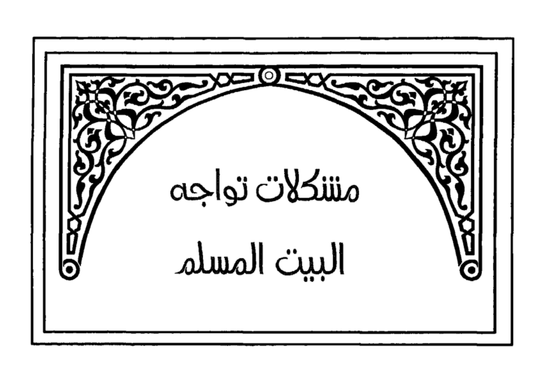
---

(١) رواه مسلم وأبو داود والنسائي وأحمد وابن حبان في صحيحه.

الإنترنت، ويمكن المشاركة فيها سواء بتوجيه نظر تلك المؤسسات إلى الاهتمام بحقوق الإنسان بصفة عامة، من غير تمييز بين الإنسان الأبيض، والإنسان الأسود، أو الدفاع عن حقوق الإنسان ليس الغربي فحسب، بل والمسلم أيضًا، وخصوصًا إخواننا المسلمين المشرَّدين في فلسطين الذين تشده صورتُهم في وسائل الإعلام الغربية، ويُصَوَّرُون على أنهم إرهابيون، وما هم إلا ضحايا للجزار الصهيوني المحتل، الذي أخذ البيت والمال والزرع، ثم أهلك للفلسطينيين الحرث والنسل.

نعم ينبغي أن يُرفع صوت هؤلاء الضحايا وأن تتحدث عنهم كلُّ المنظمات المعنيَّة بحقوق الإنسان، وبالبيئة، وليذهب أنصار البيئة ليروا الخراب والدمار الذي لحق بالأرض المحتلة..





مشكلات تواجه
البيت المسلم



مشكلة التفكُّك الأسري

لا شك أن في مـشكلة التـفـكُّك الأسـري يكمن الخطر الأكـبـر على الأسـرة والمجتمع، لأن الأسرة هي لبنةُ المجتـمع، ونواته، وأداةُ بنائه، فإن تفككُها، وانهيارها يمثل تفككُا وانهيارًا للمجتمع.

وكلما كانت الأسـرةُ قويةً متينةً متـماسكةً صلبةً، كان المجتـمع بدورهِ أكثر تماسكًا وصلابة.

ولا يخفى ما للتـفكُّك الأسري من آثار وعواقب ضارَّة بل ووخيـمة على الأسرة بذاتها وعلى الأبناء وعلى المجتمع عمومًـا، وعلى سبيل المثال فإن الأبناء الذين نشأوا في مؤسسات اجتماعية بعيدًا عن حنان الأم ورعاية الأب، هؤلاء الأطفال كانوا ميَّالين للعنف والانحراف، على الرغم من ما توفَّر لهم من رعاية صحية ونفسية.

لكن هل يمكن أن يعوِّض الطفل عن حنان الأمِّ مهما كان حنانُ الموكل برعاية هذا الطفل؟! إنها أشياء لا تُشترى!.

ولا يوجد امرأة مهما كـانت حنونًا أن تُعوِّضَ الطفل عن حنان أمه، أو أن تصبر على رعايته كما تصبر أمـه، وهل يمكن لأمرأة أن تسهر على راحة طفلٍ، وتتعب من أجله، وتستيـقظ في منتصف الليل البارد للاطمئنان عليـه، ما لم تكن هذه المرأة هي الأم؟! هل يمكن لامرأة أن تتحمل حماقات الطفل، وربما بذاءته في بعض الأحيان ما لم تكن هذه المرأة هي الأم؟!..

وهل يمكن لرجل أن يتمنَّى لآخر أن يكون هو أفضل منه، وأحسن منه، ما لم يكن هذا الآخر هو الابن؟!

إن التفكُّك الأسريَّ يُعَدُّ بحقٍّ كارثةً على الطفل، وقد يُؤدِّي إلى انحرافه، ولو أخذنا شريحة من الأحداث المنحرفين، لوجدنا أن النسبة الأكبر منهم تنتمي لأسر مُشرَّدة، متفكِّكة.

لهذه الأسباب وغيرها تُعدُّ ظاهرةُ التفكك الأسري أحد أهم الظواهر التي تستوجب البحث والدراسة، والمناقشة، والفحص والتحليل، بُغْيَةَ الوصول لحلول مُرضية.

هذا إن شئنا وأردنا تقدُّم مجتمعاتنا، ورقيها درجات ودرجات في سلم التنمية بمظاهرها المختلفة، ذلك لأنه لا يمكن أن نرتقي درجات في سلم التنمية، في حين أن كل فرد منشغل بنفسه عن المجتمع، وغارق في علاج مشكلاته الخاصة من رأسه حتى قدميه، فكيف يُفيق ليخدم مجتمعه وأمَّته، وكيف يعمل عملاً إيجابيًا، أو يفكر تفكيراً بنَّاءً؟!.

وبناءً على ما سبق، ومحاولة لعلاج هذه الظاهرة الخطيرة، ظاهرة التفكُّك الأسري، ينبغي علينا أولاً أن نقف على أسباب هذه المشكلة، ونبحث دوافعها من أجل علاج هذه الأسباب، أو منعها من الحدوث، إن استطعنا إلى ذلك سبيلا، ومن أجل تبصير الوالدين بهذه الأسباب، حتى يكونوا على دراية بها، مما قد يعصمهم من الوقوع في تداعياتها من مشكلات وخلافات.

■ **من أهمِّ أسبابِ التفكُّكِ الأسري:**

١ ـ إهمال الأمِّ لرسالتها الأولى في البيت.

٢ ـ إنحراف الأسرة عن مبادىء الشرع الحنيف.

٣ ـ عدم قيام الزوج بواجباته كزوج وأب.

٤ ـ عدم التوافق بين الزوجين.

أولاً ـ إهمال الأم لرسالتها الأولى في البيت:

قد لا يوجد من يختلف معنا حول مقولة أن رسالة الأم الأولى هي رعاية بيتها وأولادها، وأن أي عمل آخر بجانب هذا العمل يُعَدُّ أمرًا ثانويًا.

وقد يكون مُهمًا لكن ليس بأهمية الأمر الأول، ولا بمنزلته.

ورحم الله شاعر النيل حافظ إبراهيم حين قال:

الأمُّ مدرسةٌ إذا أعددتَها ** أعددتَ شعبًا طيِّبَ الأعراقِ

من لي بتربيةِ النساء فإنَّها ** في الشرقِ علَّةُ ذلك الإخفاقِ

فالأمُّ لأنها مربيةٌ للأبناء، وراعيةٌ للأسرةِ، هي أهمُّ محاضن التربية في المجتمع.

ومن هنا كان انصراف الأمِّ عن هذا الدور، وقيامها بأدوار أخرى بديلة، هذا الانصراف يُعدُّ جريمةً في حق الأسرة والمجتمع على حد سواء.

إن الدراسات التي أجريت على الأطفال الذين افتقدوا الأمومة في سنواتهم الأولى أظهرت وبشكل واضح عددًا من الآثار الضارة على نفسية هؤلاء الأطفال، وعلى سلوكياتهم، وأن الانفصال ـ وإن يكن جزئيًا ـ بين الأم والطفل يسبب أيضًا آثارًا نفسية سيئة، وبالتالي يؤثر بطريقة سلبية على سلوك هؤلاء الأطفال.

و«في تقريرٍ إلى منظمة الصحة العالمية قام «بولبي» بصياغة المبدأ القائل بأن التوازن العقلي للطفل يرتبط بضرورة تمتعه بعلاقة حميمة ومستقرة وثابتة مع أمِّه أو مع المرأة التي تحل محلها بشكل دائم، علاقة تُمكِّن الطرفين من العيش بسعادة ورضى. لقد قدم هذا المؤلف براهين عدة تبيِّن أن اضطرابات الشخصية والأعصاب تكونان

غالبًا نتيجة الحرمان من عناية الأمّ، أو نتيجة لعلاقة متقطعة زمنيًا، وغير دائمة بين الطفل والأم»[١].

إذن فالحب بين الأم والطفل، أمر مهم جدًا، وضروري للطفل، لمساعدته على النمو نموًا طبيعيًا، بعيدًا عن اضطرابات الشخصية وما شابه ذلك، وهذا الحب سوف يفتقده الطفل بغياب أمّه عنه.

أو بانشغالها دائمًا عنه بأمور أخرى، وكأنها حاضرة غائبة.

إنه يشبه الطفل اليتيم. فليس اليتيم من مات أبوه وأمُّه، ولكن أيضًا من تركاه، وأنشغلا عنه بأمور أخرى، وصدق الشاعر حين قال:

ليس اليتيم من انتهى أبواهُ مِنْ ** هَمِّ الحياةِ وخلَّفاهُ ذليلاً

إن اليتيم هو الذي تلقىَ لهُ ** أمًّا تَخلَّتْ أو أبًا مشغولاً

إن الطفل الذي يتمتع بقرب أمه منه، وينعم بحبِّها له يبدي سلوكياتٍ مختلفةً تمامًا عن ذلك الطفل المحروم من عطف أمه عليه ورعايتها له.

يقول د/ أشلي مونتاجيو في كتابه (كيف نساعد الأبناء على تنمية قيمهم الخُلقيِّة): «لقد أظهرت دراسة الأطفال الذين أمضوا حياتهم الأولى في المستشفيات أو المؤسسات الأخرى أن الطفل يحتاج إلى أشياء أخرى أكثر من إرضاء حاجاته الجسمية، لقد كان هؤلاء الأطفال يطعمون ويلعبون، ويُعني بهم بأحسن طريقة علمية سليمة، ولكن كان ينقصهم الرعاية الشخصية الدفيئة التي تقدمها الأم عادةً لطفلها، كان ينقصهم الشعور بالمساعدة، والتشجيع، كان ينقصهم الشعور بأن هناك من يحتاج إليهم، وباختصار كان ينقصهم الحبُّ الحقيقي.

---

(١) «الأمومة ـ نمو العلاقة بين الأم والطفل» د/ فايز قنطار عالم المعرفة ـ ١٩٩٢ - العدد (١٦٦).

هؤلاء كانوا كلما كبروا صاروا غير اجتماعيين يضمرون العداءَ للمجتمع، وكانوا غيـر مطمئنين يملؤهم الخـوفُ والقلقُ، وكانوا في معظم الحـالات لا يستطيـعون منحَ الحبِّ لغيرهم».

إن هذا الكلام، يعطينا مؤشراً على أن غياب الأم عن الطفل، أو عدم مـنحها الحبَّ إياهُ، وانصرافهـا عنه، وانشغالها بمشـاغلَ أخرى بدرجةٍ تصرفـها عن طفلها، هذا كله قد يكون عاملاً مهمًا من عـوامل انحراف الطفل في المستقبل. وجعله يكنُّ العداء للمجتمع.

وقد لا يكون انشغال الأمِّ عن الطفل ناتجًـا عن عمل الأم خارج المنزل، لكنه قد يكون ناتجًـا من انشغـالهـا بأمور أخـرى، مثل كـثـرة الحفـلات والزيارات والذهاب للنوادي، والأمـور الخـاصـة بالزينة ونحـو ذلك بحـيث أن تطغي هذه الأمـور على اهتمامها بالطفل، وتتركه للخادمة أو المربية مثلاً..

إن هذا يُعدُّ أيضًـا حرمانًا للطفل من الأمومـة. إن المربية مهمـا كانت فلن تكون مثل الأم في حبها ورعايتها وخدمتها للطفل.

هذا فضلاً عن أن مـثل هذا السلوك من الأم، يجعل الطفل ينشأ مـرتبطًا بالمربية أكثر من ارتباطه بأمه، وينمو هذا الشعـور لديه، ويصبح لديه جفوةٌ تجاه أُمِّه، وقد لا يكون بارًا بها فـي المستقـبل، وهي السبب في هذا، لأنها قـد حبتـه بأم بديلةٍ، وهي موجودةٌ حاضرةٌ، وانشغلت عنه بأمورٍ أخرى، فإن عليها أن تنال جزاء فعلها.

ولا نكون مبالغين إذا قلـنا إن بعض من أهملتهم أمهاتهم في الصـغر، وانشغلت عنهم بأمور أخرى، بعض من هؤلاء قد نشأوا يكرهون أولئك الأمهات، ويعادونهن، وقد يكون هذا أحد أسـباب انتشار عقوق الأمـهات عند كثير من البـيوت، والأسر.

حيث يشـعر الأبناء بأنهم لم ينالوا حـقوقهم المعنوية من الأمّ، فـلا يشعرون تجـاهها بالحبّ والعطف والرعاية.

هذا، ولا تقتصر آثار عمل المرأة، وانشغالـها عن بيتها على الأولاد فحسب، بل يؤثر أيضًا وبالدرجة الأولى على العلاقة الزوجية، إذ أنه ولابد أن المرأة لن تستطيع أن تقوم بمهامها كزوج على الوجه الأكمل، أو على الوجه الطبيعي.

إذ أن المرأة ستعـود من عملها متـعبةً مرهقـةً مثلها في ذلك مثل زوجـها، فهل ستكون عندئذ سكنًا له؟ هل ستعد له الطعام المطلوب؟!.

وإن هي أعدت ذلك، وتحامـلت على نفسها، وقـامت بمهمتها في الـبيت، فهل هذا لا يمثل عليها عبئًا ثقيلاً، أو لا يمثل لها تعبًا شديدًا؟

بالطبع إن محاولة الجمع بـين العمل خارج البيت، والقيام بمهام الزوجـية بالنسبة للمرأة أمر شاقٌ وصعبٌ. وقليل من النساء من يستطيع أن يوازن بين هذا وذاك.

نعم الموازنة بين العمل خارج البـيت، القيام بمهام الحياة الزوجيـة، بالنسبة للمرأة العاملة، أمرٌ في غايـة الصعوبة، وهو يؤدي في النهاية إلى تقصيـر المرأة في واجباتها كزوجٍ وأمٍّ، ويؤدي كـذلك إلى توتر أعـصابها، وزيادة انـفعالاتهـا، مما يجعلـها في النهاية عرضةً لمشكلات الزوجيَّة، والخلافات المستمرة مع الزوج، مما يتسبب بدوره في التفكُّك الأسري.

أو على الأقل عدم قـيام الأسرة بدورها الطبـيعي المنوط بها، وهو الحـفاظ على الأبناء ورعايتهم وتربيتهم تربية قويمة.

هذا وقد تقول المرأة: إننـي بعملي خارج المنزل، أثبتُ ذاتي وشخـصيتي، وأنفع نفسي والمجتمع، ولا أصبح كمًا مهـملاً. ونقول لهذه المرأة: إن مهمتك كزوجٍ وأمٍّ لا تقل أهمية عن أي عمـل تقومين به خارج المنزل، وتستطيعين من خلال مـهمَّتك كأمٍّ

إثبات ذاتك وشخصيتك، وعملك داخل البيت والقيام بحقوق الزوج والأبناء أمر مهم جدًا وضروري لصلاح المجتمع، وهو دور عظيم لا يقلُّ أهميةً عن دور الرجل الذي يعمل خارج البيت، بل قد يزيد أهميةً عنه.

كما أن تربية الأبناء، ليست مهمةً سهلةً كما يعتقد البعض، بل هي مهمةٌ معقدةٌ وصعبةٌ، وتحتاج لتدريب وتعليمٍ وصبرٍ، وخبرةٍ، وحنكةٍ، ووقت طويل، ومتابعة...

فلا يجب ولا ينبغي أبدًا للفتاة أن تستقلَّ أو تحتقر مهمتها كزوجٍ وأمٍّ، ولا ينبغي لها أبدًا أن تستقل أو تحتقر مهمتها كمربية للأبناء.

يقول د/ بنجامين سبوك: «إن تجاهل المجتمعات المتقدمة ـ كما في حضارة الغرب ـ للمبدأ الفلسفي القائل: «إن من الطبيعي احترام المرأة لأنها تقوم بتنشئة الطفل، وإن هذا العمل لا يقلُّ أهميةً عن أعظم وأدق الإنجازات البشرية» هذا التجاهل يتسرَّبُ إلى ذهن المرأة ووجدانها بما يجعلها تتوهم أن القيام بهذا الدور يجعلها أقلَّ مرتبةً من الرجل وهذا ليس صحيحًا، إن هذه المجتمعات تبرز في صفحاتها المطبوعة صحفًا أو كتبًا، وفي إذاعاتها المرئية أو المسموعة صو رجالِ السياسة ورجال الحرب والمبتكرين من الرجال، والعلماء، والمؤلفين، لذلك تنجذب عيون الفتيات مثل عيون الفتيان إلى ضرورة اتخاذ الأعمال التي يقوم بها الرجال كمثل أعلى، وتندفع الفتيات إلى منافسة الفتيان للحصول على مثل تلك الأعمال، وتتعلَّم الفتاة من أجل أن تحصل على مكانةٍ كمكانة الرجل، وعندما تتزوج وتلدُ ويصبح مطلوبًا منها أن ترعى الطفل الوليد طوال الشهور الأولى من حياته، فهي تقع فريسة بين إحساسها بحبها لرعاية وليدها، وبين إهدارها لما تعلمته من مهنةٍ تنافس بها الرجل، وتشعر بالمرارة لأن زوجها يستمتع بصحبة زملائه وزميلاته في العمل بينما هي أسيرة لرعاية الوليد.

ودعونا نقول إن تربية وتنشئة طفل واحد بأسلوب متميزٍ أمر أكثر جدوى وقيمة من أي إبداع آخر في الحياة، سواء أكان إبداعًا علميًا أم فنيًا، إن تربية (شكسبير) هي

التي خلدته، وتربية (أينشتين) هي التي دفعته إلى حبٍّ عمله، وقد يقال إن العلماء تربوا في حياة قاسية، لكننا نقول إن الحياة قد تكون قاسية ماديًا، ولكنها غير ذلك معنويًا، خصوصًا عند الأمهات اللاتي يعلمن أن تنشئة الطفل بشكل متوازن عملٌ أهم من الحصول على الماجستير أو الدكتوراه»[1].

هذا الكلام المنصف لمهمة المرأة الأصلية هو كلام أحد أساتذة الغرب، وهو رجل مخضرم يعرف ما جلبته دعاوى مساواة المرأة بالرجل من مصائب وكوارث على الأسرة والطفل، من جراء انصراف المرأة إلى العمل مهملةً دورها الرئيسي في البيت.

وهذا لا يعني أننا نرفض عمل المرأة مطلقًا، لكننا نرفض هذا العمل إن كان بديلاً لمهمتها الأساسية كزوجٍ وأبٍّ، يعني أن يكون عائقًا لها عن القيام بهذه المهمة.

أما إن كان هذا العمل لا يسبب لها عائقًا عن هذه المهمة، وتستطيع أن تجمع بين عملها خارج البيت، وبين تلك المهمة، فلا يوجد ما يمنع هذا العمل خصوصًا إن كان عملاً مطلوبًا من المرأة بالذات، كأن تكون طبيبةً مختصَّةً بالنساءِ، أو معلمةً للبنات، أو نحو ذلك، أو غيرها من المهن التي يمكن أن تنفع بها المجتمع فيما تقوم به من مهام قد لا يقوم بها الرجل، أو تقوم هي بها بطريقة أفضل.

ولتعلم المرأة أنه لا توجد مهمةٌ، ولا عملٌ، ولا مهنةٌ أهمُّ بالنسبة لها بصفة خاصة، ، من مهمة ومهنة التربية، وأن تكون عونًا لزوجها في حياته، في دينه ودنياه.

فلا تغتر المرأة بهؤلاء الذين ينادون بمساواة المرأة بالرجل في كل شيء، ويريدونها أن تنصفل عن مهمتها الأساسية، ليدخلوها في أمور فرعية، محاولين إلهاءها، وشغلها عن تربية أبنائها ورعاية أسرتها، مبتغين من وراء ذلك التفكُّكَ الأسري، الذي

---

(١) «فن الحياة مع المراهق» د/ بنجامين سبوك ـ ترجمة منير عامر. ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ سنة ٢٠٠١.

هو مطمح الأعداء، وقد يكون بعض هؤلاء حسن النية، لكنه يردد ما يردده الغرب من غير أن يدرك ما وراءه من تخريب وتدمير.

وفي هؤلاء وأمثالهم يصدق قول رسول الله ﷺ: «لتتبعن سنن الذين من قبلكم، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى إذا دخلوا جحر ضب دخلتموه وراءهم»[1].

ثانيًا - الانحراف عن مبادىء الشرع الحنيف:

يُعَدُّ أحد أهم أسباب التفكُّك الأسري أيضًا الانحراف عن المبادىء الشرعية في البيت المسلم، وقد يكون هذا الانحراف في أحد الأوجه الآتية:

١ - سوء الاختيار منذ البداية.

٢ - عدم احترام الحقوق والواجبات بين الزوجين.

٣ - إهمال تربية الأولاد على مبادىء الإسلام.

■ **وبالنسبة للنقطة الأولى** - فقد سبق أن تكلمنا عن أهمية حسن الاختيار منذ البداية عند الحديث عن أسس الأسرة المسلمة، ونؤكد هنا أن سوء اختيار أحد الزوجين صاحبه منذ البداية، قد يُؤدِّي إلى الخلل الزوجي والتفكُّك الأسري من بعد، ذلك لأن الذي يختار على أساس غير أساس الدين يكون معرضًا للشك والغيرة، كما يكون أيضًا معرضًا لسوء الخلق من الطرف الآخر، وقد يجد منه عدم مراعاةٍ لأمور الحلال والحرام، فيدخل معه في دائرة الخلافات والمشكلات، خصوصًا إذا كانت المرأة مسلمة ملتزمةً، وتزوجت من رجلٍ غير ملتزم بأمور الشرع، ولا يُؤدِّي فريضة ربه، هذه المرأة قد تتعب مع هذا الرجل أشدَّ التعب، فقد يجبرها على فعل ما هو مُحَرَّمٌ، وقد ينهاها عن الفرائض، وغير ذلك من الأمور، مما يضطرها لأن تطلب منه الطلاق، أو يستمر بينهما الخلافات، وتتوالى المشكلات.

---

(١) رواه البخاري.

وفي كلتا الحالتين يحدث التفكُّك الأسري، ويعيش الأبناء في أسرة مشتَّتة، غير مستقرة، مملوءة بالخلافات والمشاحنات، والمشكلات التي لا تنتهي.

ولذلك كان التحذير النبوي الشريف للمرأة، ولأهل الفتاة بأن يحسنوا اختيار الزوج المسلم، فقال ﷺ : «إذا جاءكم من ترضون دينه وأمانته فزوِّجوه، إلا تفعلوا تكن فتنةٌ في الأرض وفسادٌ عريض»[1].

فالشرط الأساسي في الرجل، هو الدين والأمانة، وليس المال ولا الجاه، ولا السلطان، وقد تتوفر مثل هذه الأمور مع الدين والأمانة فلا بأس، لكن الأساس يكون هو صلاح الدين والأمانة...

كما أن اختلال شرط الكفاءة بين الزوجين يُعدُّ عنصرًا مهمًا من عناصر التفكُّك الأسري، ويُعدُّ من سوء الاختيار أيضًا، لأنه ينبغي أيضًا مراعاة شرط الكفاءة عند اختيار الزوج زوجه.

يقول ﷺ : «تخيروا لنطفكم، فانكحوا الأكفاء، وأنكحوا إليهم»[2].

وقد عَدَّ بعض الفقهاء الكفاءة شرطًا من شروط لزوم الزواج، والكفاءة لا تعني التطابق في المستويات المختلفة بين الزوجين، لكنها تعني التقارب بينهما، بحيث لا يكون بينهما فارقٌ شاسعٌ في أيٍّ من الأمور المعتبرة، كالمال والسن والجاه والعلم ونحو ذلك.

وذلك ابتغاء دوام الزواج، واتقاء الخلافات والمشكلات، والتي قد تنشأ لاختلال هذا العنصر بين الزوجين، ويُستحسن أيضًا أن يكون هناك تقاربٌ فكريٌّ بين الزوجين أيضًا، حتى لا تكثر الخلافات إن كان لكل منهما منظومته الفكرية المضادة للآخر.

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه ابن ماجه والبيهقي والحاكم واللفظ له، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير».

■ بالنسبة للأمر الثاني - فإنه مما يزيد من شقة الخلافات الأسرية، ويبعث الشقاق بين الزوجين، عدم احترام كليهما لحقوق الآخر، وإهدارها. وعدم قيام كلٍّ بالواجب المنوط به.

أو أن يبتدع أحد الطرفين أموراً ما ويَعُدُّها من حقوقه، ويطالب الطرف الآخر باحترامها، وتلبيتها، أو أن يُقصِّرَ أحد الطرفين في واجباته مدعيًا أن ذلك ليس واجبًا عليه . . .

وعندئذ يجب تحديد المرجعية، لأن الخلاف من غير مرجعية لن يكون له حلٌّ، وأفضل مرجعية لمثل هذه الأمور هي المرجعية الشرعية، فإن الإسلام قد أرشد كلا الزوجين لحقوق الآخر، وعلمه الواجبات المنوطة به. حتى لا يحدث الخلاف.

وعلى سبيل المثال فإن للرجل على المرأة القوامةَ في الأسرة، قال الله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ (سورة النساء: ٣٤).

وحق القوامة هذا يستلزم واجب النفقة، فلا يطلب من المرأة الإنفاق على الأسرة بحال من الأحوال، فهذا ليس من واجباتها، بل من واجبات الزوج، كما أن للرجل على المرأة حقَّ الطاعة في المعروف، فهي تطيعه في غير معصية الله تعالى وفي المعروف، لأن القوامة تستوجب الطاعة، وإلا فلن يكون لها معنى.

ولهذا قال ﷺ: «إذا صلتِ المرأة خَمْسَها[(١)]، وصامتْ شهرَها[(٢)]، وحفظت فرجَها، وأطاعت زوجَها دخلت الجنة»[(٣)].

(١) خمسها: يعني الصلوات الخمس المفروضة.

(٢) يعني شهر رمضان.

(٣) رواه أحمد وابن حبان وغيرهما وصححه الألباني في «آداب الزفاف».

وفي حديث آخر يبين ﷺ بعض حقوق الرجل والمرأة فيقول: «... ولكم عليهن ألا يُوطئن فُرشَكُم أحداً تكرهونه، فإن فعلن فاضربوهن ضرباً غيرَ مبرح، ولهن عليكم رزقُهن وكسوتُهن بالمعروف»[1].

وهكذا. هناك الكثير من الآثار بخصوص هذا الموضوع، ولا يتسع المقام لذكر حقوق الزوجين، فهذا يحتاج إلى بحثٍ خاص، والمعنى الذي نريده هنا هو أن يكون الشرع الحنيف هو المرجع الأساسي للزوجين بخصوص الحقوق والواجبات، واحترامها، وعدم التعنت فيها.

مع العلم أن الزواج في الإسلام أساسًا يقوم على المودة والرحمة، قبل كل شيء وليس على الحقوق والواجبات، وهذه المودة وتلك الرحمة، هي التي تجعل البعض يتنازل للآخر عن بعض حقوقه راضيًا، ويعذره إن قصَّر فيها، ولا يتشبث كل بحقوقه، ويقيم الدنيا ولا يقعدها لأن الطرف الآخر قصَّر في كذا أو كذا، بل إن الحياة الزوجية تقوم على الحبِّ والتراحم، والحبيب يعذر حبيبه، والرحمة حين تسود بين الزوجين، سوف تسود العشرة بالمعروف التي أرادها الحق تبارك وتعالى حين قال: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (سورة النساء: ١٩).

▪ **الأمر الثالث** ـ وهو إهمال تربية الأبناء على مبادىء الشرع الحنيف، وهذا من أخطر الأمور التي تساعد على التفكك الأسري، ذلك لأن الأبناء إن تمت تربيتهم بعيدًا عن حظيرة الإيمان. تلقَّفتهم أيدي العابثين، فساءت أخلاقهم، وإذا ساءت أخلاقهم فانتظر منهم أي شيء، والسبب هو إهمال الوالدين، إن أي تربية للأبناء مهما كانت لن تفلح ولن تجدي إن تمت بمنأى عن الشرع الحنيف.

---

(١) رواه مسلم وغيره.

إن الوازع الديني هو الوحيد الكفيل بكبح جماح الشباب، وهو الوحيد الكفيل بجعله يسلك طريقًا بعيدًا عن طريق الشيطان، فالشاب في مرحلة المراهقة خصوصًا لا يستمع للكبار، ولا يقبل نصحهم إلا قليلاً، كما سبق بيانه.

خصوصًا إن لم يكن قد نال قسطًا من التربية الإيمانية، لأنه لن يحترم الكبير لمجرد السن فقط، لكن حين يتعلَّم هذا الاحترام منذ الصغر، وحين نعلِّمه قول رسول الله ﷺ: «ليس منَّا من لم يوقر كبيرنا، ويرحم صغيرنا»[1]، وحين يرى القدوة العملية ماثلة أمامه، من احترامنا نحن لمن هم أكبر سنًّا، حين يرى ذلك سيتعلم احترام الكبير، والشاب إذا لم يتعلَّم منذ الصغر الذهاب إلى المسجد والصلاة، فلن يتعلَّم ذلك في الكبر إلا بصعوبة شديدة.

وإذا لم يتعلم برَّ الوالدين كذلك ومنذ الصغر فسيكبر على عدم برِّهما وعدم احترامها، وينبغي أن يتعلَّم ذلك أيضًا عن طريق التربية الإيمانية، لأنَّ برَّ الوالدين من أحب الأعمال إلى الله، وأن عقوقهما من أكبر الكبائر، ويحفظ الآيات والأحاديث التي تتحدث عن بر الوالدين وفضلهما، وعقوبة من يرتكب جريمة عقوقهما.

كما يتعلَّم ذلك أيضًا بالقدوة حين يرى والديه يبرَّان والديهما، فيتعلَّم منهما برَّ الوالدين، وحسن معاملتهما.

إن غرس الوازع الديني، وتنميته لدى الشباب والأطفال أمر له أهميته القصوى في التربية، وبغيره تظل التربية ناقصةً، وتحتاج إلى إكمال، وهؤلاء الذين يربون أبناءهم على غير أساس الدين، فإنهم سيجدون هؤلاء الأبناء على غير ما يريدون منهم، وعلى غير ما يطلبون منهم من البرِّ، وحسن التقدير، وجميل المعاملة، فلا يلومُونَّ إلا أنفسهم.

---

(١) رواه الترمذي.

لذلك نرى اليوم كثيرًا من البيوت يشتكي أصحابها، من أن الأبناء هذه الأيام جاحدون فضل الآباء والأمهات، وينتشر لديهم عقوق الوالدين، ويتساءلون: لم هذه الجفوة، ولم هذا العقوق؟.

ونقول لهم: إنكم تركتموهم بغير تربية إيمانية سليمة، وبغير توجيه، تركتموهم لوسائل الإعلام التي تبثُّ الغَثَّ والساقط، ويندر فيها الهادف والسمين، تركتموهم هكذا، ظانين أنهم سوف يتعلَّمون بمفردهم تلك الأمور. ربما كان الوضع في السابق، والمجتمع بمؤسساته المختلفة يساعد الطفل على التربية الإيمانية، بينما اليوم تنتشر وسائل اللهو والفساد في كل مكانٍ، ويحتاج الأبناء لتربية وتوجيه دائمين متصلين، منذ الصغر، وحتى الكبر، حتى نحميهم من الانحراف ومن ثم نحمي الأسرة من التفكُّك والضياع.

ثالثًا - عدم قيام الزوج بواجباته كزوج وأب:

يأتي غياب الأب عن الأسرة على رأس الأسباب التي تكمن وراء التفكُّك الأسري، إن بعض الآباء يظنون أن واجبهم تجاه بيوتهم أن يوفِّروا للبيت الغذاء والكساء والدواء فحسب.

وأن وجودهم ليس ضروريًا، ما دام أنهم قاموا بتلك المهام، وهذا ظنٌّ خاطىء، فالأب هو المسؤول الأول عن الأسرة، ويجب أن يكون رقيبًا عليها، متابعًا لأخبارها، موجهًا لسلوكها.

أما أن ينحصر دور الأب في توفير الطعام والشراب ونحوه، من غير أن يؤثر في أفراد الأسرة التأثير المطلوب، ويوجههم الوجهة الصحيحة، فإن هذا هو البلاء بعينه.

إن الطفل كما يحتاج إلى الأم يحتاج أيضًا إلى الأب، ولا تكمن أهمية سلوك الأب في مشاركة الأم مسؤولية الطفل فقط بل في التفسير الانفعالي والنفسي الذي يعيشه الأب في علاقته بالطفل.

ويرى بعض البـاحثين (pedersonetal,1979) أن تأثير الأب يجـب أن يفهم في إطار الوحدة الأسرية، فالأب يؤثر في تطور الطفل بطريقتين:

ـ **طريقة مباشرة:** وذلك من خلال تفـاعله المباشر، وتجـربته المميزة مع الطفل، حيث يمكنه أن يعزز تطور الطفل من خلال سلوكه نحوه.

ـ **طريقة غير مباشرة:** وذلك من خلال علاقته بالأم، فالزوج يمكنه أن يوفر للزوج ـ الأم ـ دعمًا عـاطفيًا وذلك ينعكس على علاقة الأم بالطفل، ويُمكِّن أيضًـا للتفاعل بين الزوجين، وطبيـعة العلاقـة بينهما مما تؤثر في سلـوك الأب نحو الطفل، وتكون المدة الزمنية التي يقضيها الأب في البيت على درجة كبيرة من الأهمية... إن النتيجة التي يمكن استخلاصها هي أن مشاركة الأب في المراحل المختلفة من حياة الطفل تؤثر تأثيرًا مـهمًا في تـطوره خصوصًـا في الطفولة المتوسطـة... إذ يمكن للأب أن يقوم بدوره في تشجيع الإنجاز المدرسي للطفل، وفي وقايته من الانحراف، وتجنبه الجنوح، فمشاركـة الأب عامل مهمٌ في نجاح الطفل، ويتركز اهتـمام الأب بشكل خاصٍ على الوضع المدرسي للأطفال. فالمتابعـة من قبل الأهل تُؤدِّي إلى تحسُّنَ الإنجاز المدرسي، وعلى العكس من ذلك فـعـدم اهتمـام الأهل بشؤون المدرسـة يرتبط بقِلة النجـاح، وبتدهور المستوى الدراسي للأطفال، ويكون الإنجاز المدرسي على علاقة بإرادة الأب، ومدى تعاونه مع المعلِّم...»[1].

هذا فضـلاً عما يمـثِّله الأب للأبناء من معنى السلطة، هذه السلطـة التي تفرض النظام، من غير تسلُّط ولا تعنُّت ولا تعسُّف.

يقول د/ ملتون لفين أستاذ طب الأطفال: «احـتجاب الأب عن الأسرة في الفترة التي يكون فيـها الطفل ما بين الثانيـة والخامسة خليق بأن يتـسبَّب في السلوك المُشكِّل

(١) «الأمومة...» د/ فايز قنطار ـ مصدر سابق.

للطفل، وفي علامات التوتر التي يُبدونها، وفي نقص علاقاتهم بغيرهم من الأطفال، والحياة العائلية المثالية التي يكون فيها الأب رمزًا للسلطة والقوة في البيت، واحساس الطفل بأن أباه هو مصدر القوة، وأنه لا يتهيَّب أن يبسط سلطة معتدلة على الأسرة فهي حاجة أساسية لابد منها لنمو شخصيته»(١).

هذا وإن البيت الذي يغيب عنه الأب معظم الوقت، هذا البيت لن يكون مستكمل التربية لأبنائه، فالأم وحدها لا تستطيع أن تقوم بدور المربِّي في البيت، كما أن الابن في مرحلة معيَّنة يحتاج لأبيه بجانبه، يُمكِّنَ له، ويتعلَّم منه، ويستفيد بخبرته في الحياة، وهناك أمور كثيرة لن يفهمها من خلال الأم، بل لابد من وجود الأب إلى جانبه، ومساعدته إيَّاه كي يفهمها.

كما أن الأم قد لا تستطيع وحدها ضبط المنزل، أو التعامل مع المشكلات اليومية للأطفال، وقد تفقد سيطرتها على الأبناء في وقت معيَّن.

كما أن الزم بطبيعتها العاطفية قد تغفر للأبناء أمورًا تحتاج إلى حزم وشدة، وتحتاج إلى موقف صلب شجاع لا مدارارة فيه. إن ترك الأم وحدها لتقوم هي على رعاية الأبناء وتربيتهم بالإضافة إلى عمل المنزل، هذا فيه ظلم للمرأة، وتحميلها فوق طاقتها فلابد للوالد من أن يُدليَ بدلوِه، وأن يشاركَ الأسرة في جزء ولو يسير من برنامجها اليومي، ويسأل عن حال الأولاد، ويتعرَّف على مشكلاتهم، ويساعدهم في حلها، ويعلِّمهم كيف يعتمدون على الله ثم على أنفسهم في الوقوف في وجه الصعاب، ومواجهة التحديَّات، إن الأمر جد خطير، وإنه على الأب أن يقترب أكثر وأكثر من أبنائه، ويتعرَّف على حياتهم الخاصة، ويكون هو الأقرب إليهم من غيره، حتى إذا وقع الشاب في مشكلة وجد الأب واقفًا بجواره، مرشدًا إيَّاه إلى طريق الخلاص.

---

(١) «طفلك بين الثانية والخامسة» تأليف نخبة من أساتذة علم النفس والطب والتربية ترجمة/ عبد المنعم الزيادي.

كمـا أن عدم قـيام الرجل بواجـباته في الأسرة كـزوج وأب، مثل عـدم قيـامه بالواجبـات الأسـاسيـة، من توفير الطعـام والشـراب والكسـاء والـدواء وخلافـه... هـذا الأمـر لاشـك يؤثر تأثـيراً كـبيـراً على استـقرار الأسـرة، ويعـرضهـا للتشـتت والتشرذم والضيـاع، وتعد مشـكلة الفقر إحـدى أهم وأكبر المشـكلات التي تقف وراء التفكُّك الأسري.

إنه ينبغي على الزوج أن يبذل قـصارى جهده لتوفيـر الحياة الكريمة لأولاده، ولا يسلك مسـالك المنحرفين ممن يضـيعـون المال أو يسرفون في إنفـاقه، أو ممن ينفـقون أموالهم في المحرَّمات، مـهملين أسرهم ومن استرعاهم الله علـيهم، أو يشرعون في تعدد الزيجات مع عـدم القدرة على الإنفاق، ثم يتركون أطفالاً عـالةً على المجتمع، يتكفَّفون الناس، ويكون مـآلهم إلى التشرد، وربما الانحراف، فعلى من يتـزوج بأكثر من واحدة أن يكون أولاً قادرًا على الإنفاق عليهنَّ جميعًا، ثم يقوم بالعدل بينهنَّ، لا كمـا نرى ونسمع عن بعض الجهـال، الذي يتزوجون الثـانية فيـهملون الأولى، ولا ينفقون عليها، ولا على أولادها إلا بشقِّ الأنفس، إن هذا يُعَدُّ ظلمًا بينًا، ومن يفعله يعرض نفسه لسخط الله تعالى.

إن الفهم الخاطىء الشائع بين الناس حول تعدد الأزواج يُعَدُّ أحد أسباب التفكُّك الأسري، سواء كـان هذا الفهم الذي يعدُّ التعـدد جريمة بحق الزوج الأولى، أو ذلك الفهم الذي يَعُدُّ الـزوج الثانية فوق الأولى، ومن ثم يظلم تلك الزوج، كـلا الفهمين يحتاج لإصلاح وتعديلٍ وتوجيه.

رابعًا ـ عدم التوافق بين الزوجين:

ويُعدُّ هذا العامل أيضًا أحد أهم عوامل التفكُّك الأسري، ونقصد به عدم التوافق في الميول والرغبات، وفي المشارب والتطلُّعات. وكذا عدم التوافق في الأهواء أو عدم التوافق الجنسي...

إن كل شكل من أشكال عدم التوافق بين الزوجين يُعَدُّ سببًا مهمًا من أسباب التفكُّك الأسري.

هذا ويحتاج التوافق بين الزوجين في الأهواء والمشارب والميول والرغبات ونحوها، يحتاج هذا الأمر إلى بعض الوقت، وأحيانًا إلى كثير من الوقت، يعني يحتاج إلى الصبر.

كما يحتاج أحيانًا إلى غض الطرف، والسماح للطرف الآخر بفعل ما يحب وما يرغب من غير أن نسخر منه، أو أن نسفِّهَ ما يفعل، نعم لأن هذه السخرية من شأنها أن تزيد الأمر تعقيدًا.

إننا ينبغي علينا كأزواج أن ندرس فنون التعامل مع الآخرين، واحترام ميولهم ورغباتهم، حتى لو كان هؤلاء الآخرون يمثلون طرفًا كبيرًا في التعامل معنا، أو ينتمون إلينا.

وهنا يقول لنا المختصون في هذا المجال: «دع شريكك في الحياة ينطلق على سجيته»، وقائل هذه العبارة هو الكاتب المخضرم (دايل كارينجي) في كتابه «كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس». وهو ينقل قول هنري جيمس في هذا الموضوع حيث يقول: «أول ما ينبغي أن تتعلَّمه في فن معاملة الناس هو ألا تعترض الطرق التي يستمدون منها السعادة، اللهم إلا إذا كانت هذه تعترض بالقوة طريقك أنت».

إننا بلاشك كأزواج، لا نتفق في كثير من الأهواء والمشارب، ونحوها، لكن هل يحترم كل منَّا وجهة نظر الآخر؟!.

أم كل منَّا يريد أن يجعل الآخر مثله تمامًا؟ هذا شيء قد يكون مستحيلاً، فضلاً من كونه ليس حلاً للمشكلة!

إن الحل يكمن في أن يقبل كل منَّا الآخر على علاتِهِ، وعلى ما لا يعجبه فيه. ويكف عن محاولة تطويعه، أو تحويره، أو تغييره...

وهذه ليست دعوةً للسكوت عن الأخطاء، فالحديث خاص بأمور أخرى، قد يعدُّها البعض أخطاءً، وقد لا يعدُّها البعض الآخر كذلك فالحديث عن عادات شخصية ليس عليها اتفاق، وعن أفكار وهوايات وتطلعات، ونحوها. أما ما نراه أخطاءً، فينبغي تغييره بالحسنى ونوجد الدافع لدى الشخص نفسه لتغييره، وليس بالعنف والقسوة.

يقول لورانس جولد: «وينبغي أن تذكر في معاملة الناس أنهم يريدون منك أن ترضى بهم على علاَّتهم، وكما هم لا كما ينبغي أن يكونوا، ومهما جهدت في تغيير طباع الناس عنوةً واقتداراً فلن يُجديَك هذا العناء فتيلاً.

والطباع قلَّ أن تتغيَّر، ولكن منها الصالح والطالح، وبراعتك الحقة تكمن في إظهار الجانب الصالح من طباع من تخالطه من الناس، ولن يتأتى هذا باللوم والتعنيف، ولا بالنقد والتسفيه، وإنما يتأتى إذا عاونتهم على أن يلمسوا بأنفسهم الفضيلة الحميدة التي تريدهم على أن يتصفوا بها»[1].

إن مسألة تغيير الطباع مسألةٌ معقدة، وليست بالهيِّنة كما يظن بعض الناس. فالزوج أو زوجهُ قد تعوَّد كلٌّ منهما على عادات لمدة طويلة فهل تراه يتركه ببساطة؟! إن ما تم اكتسابه في سنين طويلة لن يتم التخلِّي عنه في شهور قليلة.

هذا فضلاً عن أن هناك بعض السمات الشخصية، والتي لن تتغير قط وهذه أنت مطالب أن تتعامل معها كما هي، وأن تقبل أصحابها على علاَّتهم.

فهناك مثلاً الشخص الانفعالي المندفع وهناك الآخر الهامد البارد، فهل تتصور أن شخصًا طبعه الانفعال والثورة سيتغيَّر ليصبح شخصًا هادئًا وادعًا؟ اللهم إلا إذا حدث له خلل في المخ، أو تناول عقاراً مُهدئًا، وهو أيضًا يؤثر على المخ.

---

(١) «استمتع بالحياة» تأليف: لورنس جولد. تعريب/ عبد المنعم الزيادي - ط مكتبة المناجي القاهرة - سنة ٢٠٠٠.

إنه لا ينبغي لنا أن نجعل من مثل تلك الأمور أسبابًا للمشكلات الزوجية، والخلافات الأسرية، بل علينا أن نتفهَّمها، ونقدِّرها، ونحسن التعامل معها.

وربما لمثل تلك الأمور أمرنا الله تعالى أن لا نكره أزواجنا لبعض ما نجده فيهن مما لا يعجبنا من الصفات والطباع، لأنه قد يكون فيهن من الصفات والطباع الاخرى الخير الكثير.

قال الله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (سورة النساء:١٩).

وقال ﷺ : «لا يفرك (يعني: يبغض) مؤمنٌ مؤمنةً؛ إن كره منها خلقًا رضي منها خلقًا آخر»[١].

هذا بخصوص عدم التوافق بين الزوجين في الطباع والخصال وفي الأهواء والمشارب ونحوها، أما سوء التوافق بينهما في الناحية الجنسية فهذا أمرٌ خطيرٌ وهو ينذر فعلاً بالانفصال، وهو من أكبر دواعي المشكلات الأسرية.

وقد يكون ذلك الأمر كامنًا من وراء كثير من النزاعات، والخلافات بين الزوجين، والتي قد تكون على أمورٍ تفاهةٍ. لكن ذلك الأمر يُفجِّرها من الخلف من غير أن يشعر به الزوجان، يعني يكمن في الباطن خلف تلك الأمور، أما حين يحدث هذا التوافق ترى كثيراً من الأمور التافهة، تمر مر الكرام، ولا تمثل مشكلة قط بين الزوجين.

لذلك أصبح واجبًا على الزوجين مواجهته، وأن يسعيا نحو حله، ويتخذا كل السبل الممكنة لعلاجه، وإن استدعى الأمر أن يعرض كل منهما نفسه على الطبيب

---

(١) رواه مسلم.



المختص، حتى يستلهم منه النصح والإرشاد، ويتلقى العلاج اللازم إن كان هناك ما يستدعي ذلك. وهذا الكتاب لا يتحدث عن الجنس، وليس ذلك موضوعنا، لكن مما ينبغي لفت نظر الزوجين إليه، هو أن يقرأ كل منهما، أو يقرءا معًا كتابًا محترمًا يتحدث عن هذا الموضوع، من الكتب العلمية المبسطة التي تخدم هذا الموضوع، وليس من كتب الإثارة الرخيصة...

ومما يساعد في هذا الموضوع اتباع الإرشادات النبوية الكريمة، مثل الأمر للمرأة بسرعة تلبية رغبة زوجها، وتحذيرها من رفض فراشه، وأن ذلك يعرضها لغضب الله تعالى ولعنة الملائكة، إلى غير ذلك من الآداب المطلوبة، ويُرجع لذلك في الكتب التي تتحدث عن الزواج.





مشكلات التلفاز والإعلام المفتوح

لا شك أن للتلفاز في حد ذاته آثاراً ضارة على الأسرة، بسبب ضرره المباشر على الأفراد خصوصًا على الأطفال، كما أن الإعلام المفتوح يمثل تحديًا كبيراً للأسرة، بما ينبه من قيم وأفكار وعادات تخالف ما نراه في تراثنا، وما نعتقده، وما نؤمن به.

وهذا يدعونا للوقوف من أجل النظر في هذا الموضوع، ومحاولة وضع الحلول، وبحث السبل للاستفادة من هذا الموضوع بقدر المستطاع، ودرء شروره ومفاسده بالطرق المتاحة كافةً.

وقد لا توجد دراسات منشورةٌ لدينا في مصر والعالم العربي والإسلامي عن تأثير جهاز التلفزيون على الأسرة والأطفال، لكن هناك العديد من الدراسات الغربية والتي أجريت في الولايات المتحدة وغيرها من الدول، وهي تؤكد وجود علاقة بين التلفاز والتفكُّك الأسري.

ويؤكد هذا الجهاز هذا التفكُّك الأسري، ووجود عالم خاص لكل فرد من أفراد الأسرة، وتقليص فرص تبادل الحديث بين أفراد الأسرة...

وتخرج تلك الدراسات بأن التلفاز كجهاز بغض النظر عما يبثه من مواد إعلامية، هذا الجهاز قد ساهم بدرجة كبيرة في المشكلات الأسرية، وساعد على تفاقمها.

تقول ماري واين مؤلفة كتاب (الأطفال والإدمان التلفزيوني): «... لكن الضرر الأكثر وضوحًا الذي يحيق بالعلاقات الأسرية هو إزالة فرص الحديث، وربما الأكثر

أهميـة، فـرص النقاش والـتعبيـر عن الشكاوى، بين الآباء والأطفـال والإخـوة والأخوات، إن الأسـر تستـعمل التلفـزيون غالبًـا لتفـادي محـاربة المشكلات، وهي مشكلات لن يبعـدها التجاهل، بل يجعلهـا تتقيحً، ويصبح إمكان حلهـا أقلً سهولة بمرور الوقت»[١].

ثم تقول: «لعب التلفـزيون دورًا مهمًـا في تفكك الأسرة الأمريكيـة، من خلال تأثيره في العـلاقات الأسرية، وتسـهيله انسحـاب الوالدين من القيام بدور فـعَّال في التنشـئة الاجتـماعـية لأطفالهـم، وفي حلوله محل الطقـوس الأسرية، والمناسـبات الخاصة. إلا أن التليفزيون لـم يكن طبعًا العامل المشارك الوحيد...»[٢].

وبخصـوص الدراسات حـول تأثير هذا الموضـوع على الأسرة، تقول الـكاتبة: «ويبرهن عدد من الدراسات البحثية على صـحة الافتراض القائل إن التلفزيون يتدخَّل في النشـاطات العائليـة، وفي تشكيل علاقـات الأسرة، إذ توضح إحـدى الدراسات المسحيَّـة أن ٧٨ في المائة من أصحاب الإجابات أشاروا إلى افتـقار الأحاديث في أثناء المشاهدة باستثناء أوقات معينة كالإعلانات التجارية.

وتلاحظ الدراسة أن: «الجوّ التلفزيوني في غالبية البيوت يتسم بالاستغراق الهادى من جانب أفراد الأسرة الحـاضرين... يمكن وصف طابع الحياة الاجتمـاعية الأسرية خلال البرنامج بأنه (مواز) وليس مـتفاعلاً، ويبدوا الجهاز مسـيطرًا بالفعل على الحياة الأسرية في أثناء تشغيله»[٣].

---

(١)، (٢) «الأطفال والإدمان التلفزيوني» تأليف: ماري وين ترجمة/ عبد الفتاح الصبحي - عالم المعرفة - الكويت - العدد رقم ٢٤٧ في ربيع أول ١٤٢٠هـ - يوليو/ تموز ١٩٩٩م.

(٣) المصدر السابق، ونقل الدراسة عن:

E. maccoby, "television its impact on school children" puplic opinion quarterly, vol 15,1951.

هل يؤثر التلفزيون على ذكاء الطفل وقدرته على التفكير؟

باعتبار أن التفكير يعتمد إلى حد كبير على النمو العقلي اللفظي، كما يرى الكثير من الباحثين، فإن التلفزيون، والتجربة التلفزيونية تجربة غير لفظية في الأساس كما تؤكد ذلك مؤلفة كتاب «الأطفال والإدمان التلفزيوني» فهي تقول: «. . . وهناك دليل إضافي على التأثير غير الفظي لتجارب الأطفال التليفزيونية، نراه في فضل التليفزيون في العمل كبديل كافٍ عن الفرص اللغوية الواقعية. . . والواقع أن دراسة جيدة التحكيم، كان هدفها استجلاء العلاقة بين المشاهدة التليفزيونية ولغة الكلام لدى أطفال ما قبل المدرسة كشفت عن علاقة عكسية بين وقت المشاهدة والأداء في اختبارات النمو اللغوي، ففي تلك الدراسة أظهر الأطفال الذين شاهدوا التليفزيون بكثرة في المنزل مستويات لغوية متدنية[1]، وتقدم دليلاً إضافيًا من خلال نظرة نلقيها لاحقًا في هذه الصفحات على «جيل التليفزيون»[2] وهي نظرة توحي بأن نقصًا خطيرًا قد حدث في القدرات اللفظية لهؤلاء الأطفال الذين شبُّوا وهم يشاهدون التليفزيون لفترة طويلة.

لماذا لا يفيد الأطفال الذين «لا يستمعون إلى شيء سوى التليفزيون» من ذلك التعرض للتليفزيون؟ لابد أن هناك فرقًا حاسمًا بين تجربة لغوية لا تتطلب مشاركة متبادلة، وأخرى تستوجب انخراط الأطفال فيها بنشاط، كما يحدث في التعامل مع

---

(١) أشارت المؤلفة إلى نقل الدراسة عن:

Sel now and betting hpus, Atelevision exposure and languag levelA, joutnal of broadcasting, 26:2,spring, 1982.

(٢) راجع «الأطفال والإدمان التليفزيوني ص: ١٤٤ وما بعدها» ماري واين.

شخص آخـر، وإذا كانت المشاهدة التلـيفزيونيـة حقًا تتـضمّن نوعًا آخـر من النشاط العقلي غير التجارب الحياتية الواقعـية، فقد يثبت أن هذا النشاط يُنبِّهُ أجزاء أخرى من الدماغ النامي للـطفل، أليس من الممكن أن يختلف دمـاغ طفل في الثانية عـشرة من عمره، قـضي عشرة آلاف ساعة في غرفـة مظلمة في مشاهدة الصور المتـحركة على شاشـة صغيـرة من نواحٍ متـعددة، عن دماغ طـفل لم يشاهد إلا القليل على شـاشة التليفزيون، أو لم يشاهد شيئًا قط، مثلما تختلف بصورة يمكن اثباتها رئتا مدخنٍ شرهٍ عن نظيرتيهما لدى شخص لا يدخن؟ أليس من المحتمل أن يشب طفل التليفزيون من الطفولة ولديه مهارات نصف كرة الدماغ الأيسر ـ أي تلك المهارات اللفظية والمنطقية ـ ما هو أقل نموًا من القـدرات البصرية والمكـانية التي يتحكم فـيها نصف كـرة الدماغ الأيمن؟ . . . »[1].

ثم تحشد المؤلفة الحجج والبراهين التي تؤيد وجهة نظرها. . .

البث التليفزيوني ومخاطره:

هذا كله بخصـوص التليفزيون كجـهاز، وأضراره كجهـاز فقط بغض النظر عن مـحتـواه، فكيف إذا نظرنا إلى مـحتـواه، وأخـذنا ذلك في الاعتـبـار عند مناقشـة المشكلة؟!!

لاشك أنه عندئذ سيمثل تحديًا صعبًـا للأسرة المسلمة، وسواء نظرنا على المستوى المحلي، أو على المستـوى العالمي، يعني على مستويي البـث الإعلامي، الأرضي منها والفضائي.

---

(١) «المصدر السابق ص٦٥-٦٦».

فبالنسبة للمستوى المحلي، سنجد أيضًا أن معظم الدول العربية، لا يقدم فيها هذا الجهاز من البرامج المحترمة إلا القليل، والباقي غثٌ وتافهٌ أو مضللٌ ومزيفٌ، أو مهدرٌ للأخلاق والقيم.

ولا يحتاج ذو عقل إلى تفصيل، ويكفي أنه ببرامجه وأغانيه وأفلامه ومسلسلاته، يخدش الحياء، إن لم يكن يقتله في نفوس المشاهدين. وأمةٌ يذهب منها الحياء لا خير فيها.

يقول ﷺ: «الحياء من الإيمان»[(١)].

ويقول أيضًا: «إن لكلّ دينٍ خُلُقًا، وخلق الإسلام الحياءُ»[(٢)].

فإذا نزع الإيمان، والمرء إذا لم يستح، فليصنع ما شاء، فقد ضاع الإيمان!!

لذا قال ﷺ: «إذا لم تستح فاصنع ما شئت»[(٣)].

وهو كلام على سبيل التهديد والوعيد، لمن يفقد الحياء، أو يستهزأ به، والمادة الإعلامية في كثير من بلادنا تستهزأ بقيم إسلامية أصيلة، وتمجد العُرْيَ والفجور، وتسميه فنًا، ألا ساء ما يحكمون.

وحين ينشأ الطفل، وهو يشاهد مثل تلك الأمور، ويتعوَّد على النظر لكؤوس الخمور، وهي تُعرض، ويشربها الممثلون بكل بساطة، مستهزئين بحكم الله،

---

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.
(٢) رواه ابن ماجه ومالك في «الموطأ».
(٣) الحديث رواه مسلم وغيره.

وبالمحرَّمـات الشرعية القطعـيَّة، حين يرى الطفل ذلك فإن يتعـوَّد رؤية هذه الأمور، ويستهزأ بدوره بالمحرَّمـات، ولا ينكرها، على عكس ما أرادنا الله تعالى. حين طلب منا أن نعظم حُرمات الله، ولا نتعد حدوده.

قال تعالى: ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ﴾ (سورة الحج: ٣٠).

وقال: ﴿ ومن يتعدَّ حُدُود اللَّه فأُولَئكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (سورة البقرة: ٢٢٩)، ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُود اللَّه فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ (سورة الطلاق: ١)، ﴿ ومن يعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ (سورة النساء: ١٤).

وقد يقول قائل: إن هذا تمثيل، فهو بمثـابة اللهو واللعب، وليس حقيقة، نقول: وهل يجوز فيه الاستهزاء بحُرمات الله، بعرض النساء عاريات أو شبه عاريات يرقصن ويتمايلن، ويظهرن ما خفي من مفاتنهن؟!

أم يجوز فـيه عـرض البطل والذي يمثل القدوة في العـمل الفني، وهو يحـتسي الخمر، وكأن ذلك أمرٌ طبيعيٌ، ويشـار إليه حينئذ، أنه مؤمن، وشريف، وعلى خلق ابتغاء أن يصبح قدوةً للشباب، ومـثلاً يحتذى، إن ذلك كله يشكل عقلية الطفل، بل ويخربها من الناحية الدينية والخلقية.

وماذا يقـول القائمون عـلى هذه الأمور لله تعالى حين يسـألهم يوم القيـامة عن استهانتهم، واستهزائهم بحرمات الله؟

هل يقولون إنما كنا نخوض ونلعب؟!

لقد تحدث ربنا سبـحانه وتعالى عن المنافقين من قبل، فأبـطل مثل تلك الحجة، قال تعـالى: ﴿ وَلَئِن سَـأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾ (سورة التوبة: ٦٥).

أما بخصوص الإعلام المفتوح فحدث ولا حرج، إذ أن القوم ليس لديهم ما يمنعهم من الحياء مطلقًا، والحرية عندهم أن يفعل المرأ ما يشاء ما دام أنه لا يؤذي غيره بطريقٍ مباشرةٍ، وإن كان يؤذي المجتمع كله بطريق غيرمباشرة.

فهم يبيحون العري والفجور والخنا والزنا والشذوذ، وكل ذلك عندهم من الحريات الشخصية المحترمة، والأخلاق عندهم أمر نسبيٌّ، ولا يؤثر فيها ذلك الموضوع.

وهذا يفرض علينا أموراً عدة، **اولها:** التربة الخلقية المتينة لأولادنا ونسائنا، وغرس مبادىء الإيمان في نفوسهم، وأن نكون نحن أولاً قدوة لهم في هذا المجال، وأن نراقب الله تعالى في أعمالنا كلها.

وثانيها: حماية أبنائنا ونسائنا من ذلك السفه والانحطاط، وتعظيم حرمات الله تعالى في نفوسهم، والغضب لله، والغيرة عندما تُنتهك حُرماته جلَّ شأنه.

وثالثها: مراقبة أبنائنا ونسائنا بطريق غير مباشرة، وعدم تركهم يفعلون ما يحلو لهم بغير ضوابط شرعية، وحثهم بطريق الاقناع والحوار على ترك ذلك السفه، وتلك المحرَّمات.





مشكلة تمرد الأبناء وعقوقهم

وهذه مشكلة من أكبر المشاكل التي تواجه البيت المسلم، وتقضُّ مضجعهُ، وتهدد استقراره، وهي مشكلة متشعِّبة وذات أبعاد كثيرة، وربما تتداخل مع بقية المشاكل من حيث الأسباب والنتائج، ويمكننا تلخيص أبرز النقاط المسببة لهذه المشكلة فيما يلي:

١ ـ ضعف التربية الأسرية للأبناء.

٢ ـ افتقاد الأبناء المثل والقدوة.

٣ ـ أصدقاء السوء، والشلليَّة.

٤ ـ التدليل الزائد عن الحد.

٥ ـ القسوة في التعامل مع الأبناء.

٦ ـ عدم فهم شخصية الطفل.

٧ ـ التأثير السلبي لوسائل الإعلام.

٨ ـ المشكلات الزوجية.

٩ ـ انشغال الآباء والأمهات والأبناء.

١٠ ـ عدم العدل بين الأبناء.

ربما كانت النقاط السابقة من النقاط الأكثر أهمية بخصوص هذا الموضوع، ومن ثم سوف نتعرَّض لكل منها ـ بإيجاز ـ بالشرح والتحليل.

أولاً - ضعف التربية الأسرية للأبناء:

ربما لا يدرك الآباء هذه المشكلة إلا في وقت متأخر، في حين أنهم لو أدركوا هذا الأمر مبكِّرًا، لكان من السهل علاجه، إذ أن الطفل منذ الصغر يتشرَّب العاداتِ والتقاليدَ والقيمَ بسهولة، وتصبح له عادةً، ومن ثم ينشأ، ويترعرع عليها، من غير حاجة إلى تعديل في السلوك بعد ذلك، إذ أنه يكون قد اكتسب الصفات الأساسية، منذ الصغر، وأصبح لديه أرضية كبيرة، وأساسٌ عميقٌ للبناء عليه، هذا الأساس المتين يكون بمثابة العاصم للابن من العقوق وغيره، من الأخلاق المرذولة.

وينشأ ناشيء الفتيان فينا ★ على ما كان عوَّدهُ أبوهُ

وحين يُعوِّد الأب ابنه منذ الصغر على احترام الكبير بصفة عامة، والوالدين بصفة خاصة، ينشأ الطفل على هذا الخلق، وليس الموضوع يقتصر على هذا بل لابد من تربية الأبناء تربية إسلامية سليمة.

بحيث تتكوَّن المنظومة الفكرية للطفل فيما يعبر، عن طريق الإسلام، ويتخذه له كمنهج حياة، فيراعي الله تعالى في كل ما يفعل، فإذا تصرَّف في أمرٍ من الأمور تصرَّف في حدود ما يمليه عليه الشرع الحنيف.

فينمو الشاب، وهو يتقي الله، فهو مثلاً لن يعقَّ والديه، ولن يتمرَّدَ عليهما مهما حدث، ذلك لأنه يخاف الله تعالى. ويخاف عقابه، ويعلم أن العقوق، من أكبر الكبائر التي حرَّمها الله تعالى.

كذلك يتقرَّبُ إلى والديه، ويحبهما، ويطلب مرضاتهما طلبًا لرضى الله تعالى، حيث أن رضاه في رضا الوالدين، وسخطه في سخطهما، فلن يرضى عنه الله تعالى، وهو قد أغضب والديه.

هكذا يعرف أو يجب أن يعرف الشاب ويتعلَّم البر بوالديه، ومهما قيل عن بر الوالدين بعيدًا عن المرجعية الشرعية، والتأصيل الشرعي، فإنه لا يُعَدُّ كافيًا لطلب

ذلك، هذا فضلاً عن أن بر الوالدين وطاعتهما بهذه النية يعدُّ طاعةً لله، وصاحبه مجزيٌّ به، أما بغير هذه النية، فقد لا يعد شيئًا في سجلاته يوم الدين.

ثانيًا: افتقاد الأبناء المثل والقدوة:

نعلم جميعًا أن الطفل يتعلَّم بالتقليد، وأن التعلُّم بالتقليد يُعَدُّ أبسطَ أنواع التعلُّم، ومادام الطفل يتعلَّم عن طريق تقليد الكبار، وخصوصًا الأبوين، فعندئذ يعد سلوك الوالدين أمرًا خطيرًا في التأثير على الأبناء.

وحين يكون الوالدان مثلاً طيبًا، وقدوة حسنة للأبناء في السلوك والعادات والعبادات، فإن فعلهما يُغني كثيرًا عن القول، ويكون أشد تأثيرًا من الأقوال.

أما حين يكلم الوالدان الأولاد في عدد من الفضائل كالصدق مثلاً، ثم يبدو منهما ما يخالف هذا الكلام، فإنه بلاشك سيفقد الأبناء الثقة بالوالدين، وبنصائحهما.

وهناك مثلٌ مشهور يُضرب بخصوص هذه المسألة، وهي أن والدًا كان ينصح ابنه بالصدق، ويُحذِّره من الكذب ومن مضاره الدنيوية والأخروية، ثم دق (جرس) التليفون، فرد الابن عليه، فوجد صاحبًا لأبيه يريد أن يكلمه، فقال الأب لابنه: أخبره أنني لست موجودًا!!

إذن فالكلام شيء، والفعل شيء آخر... فكيف يتعلَّم الابن إذن الصدق، ومن يعلمه الصدق إذا كان المعلِّم يكذب، ويأمره بالكذب، لأنه لا يريد أن يتكلم مع أحد الناس؟!

يا أيها الرجلُ المعلِّمُ غَيْرَهُ ** هلاَّ لنفسكَ كان ذا التعليمُ
تصفُ الدواءَ لذي السقام وذي الضنا ** كي ما يصحُّ به وأنت سقيمُ
ابدأ بنفسك فانهها عن غيِّها ** فإذا انتهتْ عنه فأنت حكيمُ
فهناك يُقبل ما وعظت ويُقتدي ** بالعلم منكَ وينفعُ التعليمُ

يجب أن نعلم أن أنبائنا يقلدوننا، وأن أفعالنا أهمُّ من أقوالنا، فلا نركز على الأقوال، بل نركز على الأفعال، وهذا يحتاج منا إلى جهاد نفس، وطول نفسٍ، وصبر جميل.

وحذارِ حذارِ أن نسقط في مستنقعات الدنايا، فإننا عندئذ لا نحكم على أنفسنا وحدنا بالضياع، بل وعلى أولادنا أيضًا، لابد أن نجعل أبناءنا يحسنون الظن بنا، ويثقون بأخلاقنا ثقة لا يخالطها ريبٌ.

لأنه إذا تزعزت ثقة الابن بأبيه، نشأ فاقدًا للانتماء الحقيقي، وشعر بالخجل من الانتماء لوالديه، وهذا ضارٌّ جدًا على صحته النفسية، ويكون سببًا لمشكلات كثيرة تحدث له في مستقبل حياته.

ومن هذا الباب أنه يجب علينا أن لا نعد الطفل وعدًا ونخلفه، بل لابدَّ من إنفاذ هذا الوعد، على قدر طاقتنا، فإن لم نكن قادرين على انفاذه فلا نعده بشيء.

أما أن تعد الطفل بشيء لكى تسكته، أو تستريح من (شقاوته) وقتاً ما، ثم تخلف وعدك معه، فهذا كذبٌ. كذلك، لا تقل له تعال أعطك كذا.. ثم لا تعطيه شيئاً، فهذا أيضاً يعد كذباً. هكذا نهى عنه ﷺ.

يقول عبد الله بن عامر رضي الله عنه: «أتانا رسول الله ﷺ في بيتنا وأنا صبيٌّ، قال: فذهبت لألعب، فقالت أمي: يا عبد الله تعالى أعطيك، فقال رسول الله ﷺ «وما أردت أن تعطيه؟». قالت: تمراً، قال: «أما إنك لو لم تفعلى كُتبت عليك كذبة»[1].

(١) رواه أحمد وغيره، وهو في صحيح الجامع الصغير للألباني برقم (١٣١٩).

ثالثاً - أصدقاء السوء والشللية:

تكلمنا من قبل عن الأصدقاء، وسنعـرض هنا لدور الأصدقاء فى عقوق الآباء، إن الصديقَ كما نعلم يُؤثر في صديقه بدرجةٍ كبـيرةٍ، ويعتمد ذلك على متانة الصداقة وقوتها وعمقـها. وإذا كان الصديق يرى أن أصدقاءه يستهـزءون بالكبار عموماً، ولا يحترمونهم فـإنه سيكون مثلهم، وربما ظنَّ أن احترام الكبـار فيه نوع من الخوف، أو الوقوع تحت سيطرتهم، أو التقيُّد بقيود الماضى، أو غير ذلك مما يصوِّره له عقله المتأثر بالحريات المطلقةِ المثارة فى العصر الحديث.

ومن ثم فقـد يواجه الكبار، وخـصوصاً الآباء من هذا الشـباب وغيـره نوعاً من التمرُّد الحقيقى على أوامرهم، أو على كلامهم بصفة عامة، فقد ترى الشاب يخالفك القول، ويجادل أحياناً لمجرد المخالفة فقط.

وقد يكـون فى هذا شيء من صراع الأجـيال، لكنه في الحـقيـقة تأثُّر بأصـدقاء السوء، أكـثر من كونـه صراعاً بين الصـغار والكبار. أو بين جـيل الصغـار، وجيل الكبار، إنَّ الصديق في هذه الحالة قد يكون متأثراً بصديقه.

ذلك لأن الأصدقاء يجـلسون مع بعضهم ليـحكىَ كل واحد منهم عن (شطارته) وتمرده على والديْه فى البيت، وكـيـف أنه استطاع أن يتأخر ليلاً ولا يـكلمه أحدٌ على هذا التأخر. .

عندئذ يحدث نوعٌ من الغـيرة بين الأصدقـاء، ويتعلَّم الصديق من صـديقه كيف يـتحايل علـى كلام الوالدين، وكيـف ينفذ ما يـريد، مخالفـاً بذلك آراء والديه، وأوامرهما.

وقد يكون لتمرد الصديق ذاك أسبـاب وظروف، تختلف تماماً عن ظروف صديقه الآخر، فقـد يكون والداه مثلاً يُهـملانه، ولا يرعيانه الرعـايةَ اللازمة، أو لا يكونان قدوةً حسنة له،خصـوصاً فى بر الوالدين، يعنى يكون والداه أنفسهمـا لا يقومان ببر

والديهما، فيتعلَّم الابن منهما بالتقليد هذا الموضوع، إذ كيف يأمران ببرهما، وهما يعقان والديهما؟!

وقد يكون هناك أسبابٌ أخرى وجيهةٌ تدعو ذلك الابن إلى أن يتمرَّدَ علي الوالدين. . بينما لا يكون لصديقه مثل هذه الأمور.

إذن فينبغى أن ينبه الوالدان ابنهما لمثل هذا الأمر، ويحثانه على ألا يقلد زملاءه تقليداً أعمى فى الصواب والخطأ، وأن يكون له شخصيته المستقلة، التي تفعل ما تحسبه صوابًا، وأن يصاحب من يراه يفعل الصواب، ولا يصاحب (شلة سيئة).

ويعلمانه حديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه: **«لا يكن أحدكم (إمَّعَةً)». قالوا: «وما (إمَعَّةٌ) يا رسول الله؟» قال: «يقول أنا مع الناس، إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أساءت، ولكن وطِّنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تُحسنوا، وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم»**[(١)].

وهكذا يجب أن يكون المسلم، له شخصيته التي لا تذوب في شخصية أحد، ولا تفعل مثلما يفعل الناس، لكن ليفعل الخير، فإن أحسن الناس يحسن مثلهم، لكن إذا أساءوا لا يسيء مثلهم بل يظل على إحسانه.

فلنربِّ الابن َعلى أن لا يكون إمَّعَةً، ولا يذوب في أصحابه، وليأخذ منهم الخير فقط.

رابعًا - التدليل الزائد عن الحد:

لا يفسد الطفل أكثر من التدليل الزائد عن الحد، يمكننا أن ندلله بطرق معقولة. لا مانع من أن نغدق عليه الحب، ونمنحه الهدايا واللعب، ونحو ذلك، هذا كله تدليل، لكنه طبيعي، أما أن ننفِّذَ له كل ما يريد، ونخاف من غضبه، ونستجيب

(١) رواه الترمذي وحسنه، ورواه الطبراني في الكبير.

لطلباته المعقولة، وغير المعقولة، فهذا ليس مقبولاً في التربية السليمة للأبناء، لأن هذا يخرج طفلاً أنانيًا، مدللاً، متمردًا من بعد على أهله ووالديه.

والعملية تبدأ منذ الصغر، تبدأ من حين يضغط علينا الطفل بالبكاء ونحوه، لينفذ ما يريد، فنستجيب نحن خوفًا عليه من شدة البكاء، أو من الغضب!

وماذا يحدث لو تركناه غضبان، أو تركناه يبكي؟! إن خوفنا الزائد على الطفل هو مصدر المتاعب في المستقبل حين يشعر عندها الطفل بمدى أهميته، وأنه يستطيع أن ينال ما يريد مهما كان.

لا مانع من أن نُشعرَ الابن بأهميَّته، لكن هذه الأهمية ينبغي أن تبقى في إطار معيَّن، ولها حدودها المعقولة، فكما هو مهم مثلاً فإن إخوته مهمون، وبنفس القدر، وليس هو أهم منهم، ولا هم أهم منه، ليس هو مركز الدائرة، ولا هم مركزها، كلهم متساوون عندنا في الأهمية والاعتبار والرعاية. أما حين يشعر أحدهم بأنه هو مركز الاهتمام فهنا تبدأ المشاكل.

يجب أن يكون الوالدان واضحيْنِ في مدى الاستجابة لأوامر الطفل، فمثلاً لو طلب الطفل شيئًا، وكان هذا الشيء غير مستطاع، ينبغي أن يُخبراه أنهم لا يستطيعان هذا الشيء، ولا يقدران على شرائه، أو لا يرغبان في شرائه، من غير ترددٍ وبحزم، أما إذا شعر الطفل بنوع من التردد لدى أبويه، فسوف يستعمل وسائل الضغط لديه، من بكاء، أو حزن، أو صراخ، أو نحوه، مما يكون قد تعلَّمه وعرف أنه يؤثِّر في سلوك الوالدين.

وهذا أمر خطير، يجب أن يُعلَّم الطفلُ، منذ طفولته أنه ليس كل شيء يطلبه، يمكن الحصول عليه، فهناك الإمكانيات والقدرات المادية، والتي قد تحول دون شرائه، وهناك أمور أخرى منها عدم رغبة الوالدين في شرائه، لما قد يريانه من أضرار قد يتسبَّب فيها، ونحو ذلك من الأمور. عندئذ سيعلم الابن حين يكبر أنه ليس كل

شيء يريده، يمكنه الحصول عليه، فلا يصبح طمَّاعًا ولا أنانيًا، بل عندها يحترم حاجات الآخرين، وقدراتهم.

يجب أن يتعلَّم الابن ومنذ الصغر، أن يحترم مشاعر غيره، كما يريد من غيره أن يحترم مشاعره.

إن مشكلة التدليل الزائد هي أن الابن لا يتعلم تقدير حاجات غيره، بل يريد أن يفعل ما يحلو له بدون مراعاة حاجات الآخرين، ومن ثم تراه مثلاً يتمرد على الوالدين، ويريد منهما أن يفعلا له ما يريد، بغض النظر عن ظروفهما، وإمكانيَّاتهما، متهمًا إياهما بالتقصير في حقه.

خامسًا ـ القسوة في التعامل مع الأبناء:

لو يعلم الآباء ما للقسوة والعنف من آثار ضارة وسيئة على نفسية الأبناء، لما لجأوا لمثل هذا الأسلوب، إن هذه القسوة وذاك العنف للأبناء في الصغر، قد يكون دافعًا لهم إلى التمرد على الآباء في الكبر، وعقوقهم.

بل إن هناك من يستمر في العنف والقسوة مع أولاده حتى وهم كبارٌ، في مرحلة المراهقة مثلاً، وهذا أمرٌ في غاية الخطورة، ويُؤدِّي إلى زيادة تمرد الأبناء، وعقوقهم الآباء، بل وقد يتطور الأمر ليؤدِّيَ بالابن إلى الهروب من المنزل، أو إيذاء نفسه، أو غير ذلك من الأساليب التي يتحدَّى بها الوالدين اللذين يعاملانه بقسوة، أو عنف. والأحرى بالأب أن يعامل ابنه في مرحلة المراهقة، كرجل، فلا يضربه، ولا يقسو عليه، بل يحترم شخصيته، ويحترم آراءه ويقدِّرها، ويقوم بتوجيهه وكأنه أخوه الأكبر، أو صديقه مثلاً، وهذا يكون أجدى وأنفع مع الابن من القسوة والعنف، بل يجعل الطفل يحترم والديه ويقدرهما.

وليعلم الآباء أن الضرب أو القسوة مع الأبناء، لا تعلِّمهم الاحترامَ، يعني لا تجعلهم يحترمون آباءهم بقدر ما تجعلهم يرهبونهم، ويخافون منهم.

وهناك فرق كبير بين أن تحترم شخصًا وبين أنك تخاف منه، ونحن نريد أن نغرس في أولادنا الاحترام والتقدير لنا، وللكبار بصفة عامة. ولا نريد أن نجعلهم يرهبوننا، ويخافون منا.

هذا فضلاً عما للعقاب البدني العنيف، من آثار ضارة جدًا على نفسية الأبناء، بل وعلى سلوكياتهم في المستقبل وعلى تكوينهم الشخصي، والقيمي، يقول العلامة ابن خلدون في مقدمته: «وذلك أن إرهاق الحدث في التعليم مضرٌ بالتعليم سيما في أصاغر الولد، لأنه من سوء الملكة، ومن كان مرباه بالعسف والقهر، من المتعلمين، أو المماليك أو الخدم، سطا به القهر، وضيق عليه النفس في انبساطها، وذهب بنشاطها، ودعا إلى الكسل، وحمل على الكذب، والخبث، وهو التظاهر بغير ما في ضميره، خوفًا من انبساط الأيدي بالقهر عليه، وعلَّمه المكر والخديعة لذلك، وصارت هذه له عادةً، وفسدت معاني الإنسانية التي له... وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل...»[1].

هذا وقد يقول الآباء: وماذا نفعل مع الأبناء، إنهم لا يفتئون يعصون الكلام، ولا ينفذون ما نريد، هذا فضلاً عن (شقاوتهم) الزائدة، وسلوكياتهم الحمقاء في كثير من الأحيان، فكيف نتصرَّف معهم حيال ذلك؟!

---

(١) «مقدمة بن خلدون ص:٤٤٩» للعلامة عبد الرحمن بن خلدون المغربي المتوفي سنة ٨٠٨هـ ط ـ دار العودة ـ بيروت سنة ١٩٩٦.

نقول هناك عـدة طرق وأساليب للتـعامل مع الأبناء غيـر طريق العنف وأسلوب القسـوة فيمكنك بالحبِّ، والمكافأة، أن تدفع الأبـناء لفعل ما يُستـحسن من السلوك، وتجلعهم يجتنبون ما تعده ضاراً بهم.

وحتى لو اضطررت للعقاب، ، فليس الضرب هو الوسيلة الوحيدة للعقاب، فقد تعاقب الطفل بحرمانه من شيء يحبه، كأن تعاقبه مثلاً بعدم شراء لعبة معيَّنة، أو عدم ذهابه إلى النادي هذا الأسبوع. . .

مع العلم أن العقـاب يجب أن يظل آخر الوسـائل التي يتم اللجوء إليـها وليس أولها، بل كـما يقـال: «آخر الدواء الكي»، فكانوا لا يقـومون بكي الجـرح إلا بعد استنفاد بقية الوسائل الآخرى للشفاء، وعدم جدواها.

وهكذا لا نلجأ إلى ضرب الطفل إلا بـعد استنفاد الوسائل الآخرى في التـوجيه وثبات عدم جدواها.

وإذا كان لابد من معاقبة الطفل فثمة أمور مهمَّة يجب مراعاتها في هذا العقاب، ومن هذه الأمور ما يلي:

١ ـ عدم تخـويف الطفل وإرهابه، وعدم تخويفـه ببعض الخرافات المنتـشرة بين الناس، والتي يُخَوِّفُون بها أطفالهم، مثل (الغول) أو (أبو رجل مسلوخة) ونحو ذلك من الأمور، حيث أن الطفل يتخـيَّلها حقيقةً، وتؤثِّر في نفسـيته، وتسبب له الرعب، ويظل تأثيرها معه، حتى بعدما يكبر.

٢ ـ عدم حبس الطفل في حجرة مظلمة، كـوسيلة من وسائل العقاب، حيث أن ذلك يمثل ضرراً بالغـًا بالطفل، ولا ينبغي أن نلعب بمشاعره وعـواطفه، أو نهوِّن من نفسيته، وخوفه من الظلام ونحوه.

٣ ـ عدم السخرية من الطفل، خصوصًا أمام الغرباء، وعدم مقارنته بإخوته، بأن نقول له مثلاً إن أخاك فلان أفضل منك لأنه يفعل كذا وأنت لا تفعله، فهذا يجعله يغار من أخيه، وربما يكرهه، ولكن إذا أردنا ذلك الموضوع لحثه على التأديب، فيمكننا أن نقارنه بنفسه، في أوقات مختلفة، فمثلاً نقول له: لقد كنت بالأمس جادًا وممتازًا ولم تكن تفعل هذا الأمر، فما الذي حدث لك، نرجو أن تعود كما كنت، وأن تتخلَّى عن ذلك السلوك السيء.

٤ ـ عدم جرح كرامة الطفل وكبريائه، بأن نعايره بأمر ما قد لا يكون بقدرته التخلص منه، مثل أن نعايره بعادة معيَّنة لديه، أو بعيب خلقي أو بشيء من هذا القبيل، فهذا أمر غير مقبول شرعًا، ولا عرفًا، وغير مقبول مطلقًا في ميدان التربية، إن أي جرح لكرامة الطفل وكبريائه يترك جرحًا فيه لا يندمل، فليتق الله الآباء والأمهات، وليتخليا تمامًا عن مثل هذا الأسلوب الضار، بل الشديد الضرر بنفسية الطفل.

٥ ـ أن لا يكثر الوالدان تهديد الطفل بالعقاب، مع عدمه، إذا يؤدي ذلك إلى أن الطفل يزداد تمرده، ويفقد الثقة بتهديد الوالدين، ويعد هذا الكلام من باب الاستهلاك ليس إلا، وأنه لا يستتبع عملاً حقيقيًا.

لكن إذا كان هناك تهديد، فإذا فعل الطفل ما تم تحذيره منه، فلينجز الوالدان تهديدهما. مع العلم أننا نستبعد العنف والقسوة والضرب كأسلوب أمثل، وليس شرطًا أن يكون التهديد بالضرب، بل قد يكون بوسيلة من الوسائل التي سبق الإشارة إليها من وسائل العقاب الأخرى.

٦ ـ عدم الازدواجية في العقاب، بمعنى أن تعاقب الطفل على عمل ما اليوم ثم تتركه يعمله غدًا، فينشأ لدى الطفل اضطراب في تقييم السلوك. وفي معايير الصواب والخطأ.

فأنت قد تعاملت مع خطأ واحد، بأسلوبين مختلفين، مرة تعاقبه ومرة تتركه، فهل يكون هذا خطأ؟ وإذا كان خطأ فلماذا تركته يفعله في المرة الثانية، وعاقبته على فعله في المرة الأولى؟.

يجب توحيد المعايير التي يتم العقاب عليها، وتجنب التخبُّط في ذلك.

٧ ـ أن يكون العقاب متناسبًا مع الفعل، حتى لا يشعر الوالد مثلاً أنه عاقب الطفل بطريقة زائدة على فعل لا يستحق هذا العقاب، فيقع في حيرة من أمره، وقد يضطر إلى أن يقوم بمصالحته، وفي هذا تدمير للعقاب من أساسه. فلا ينبغي أن يعاقب الطفل ثم يتم الاعتذار له عن العقاب، هذا شيء لا يجوز، ولا يصح في طريقة التربية.

سادسًا ـ عدم فهم شخصية الابن:

يقف عدم فهم شخصية الابن حجر عثرة، لدى الآباء في طريق تقويم الأبناء، وتربيتهم. فالابن يحتاج لفهم طبيعة المرحلة التي يمر بها، من قبل الآباء، والمربين، حتى يُحسنوا التعامل معه.

وعلى سبيل المثال الابن في مرحلة المراهقة، تعتريه بعض التغيرات الجسمية والنفسية ويشعر البالغ انه أصبح رجلاً، ولم يعد طفلاً، وينبغي معاملته على هذا الأساس، بينما يصر بعض الآباء، على أنه لازال طفلاً، ولا يفهم شيئًا عن الدنيا، ولا زالت خبرته ضئيلة، وليس معنى أنه قد نبت له شارب، أو لحيةٌ، أنه أصبح رجلاً!

ومن هنا تنبع المشاكل، وتتوالى، ويبدأ الصراع بين الآباء والأبناء، ويقول الآباء إن الأبناء قد تمرَّدوا، ولا يريدون أن يستمروا تحت سلطة الآباء، ويريدون أن يفعلوا ما يحلو لهم بغير ضوابط.

والسبب الأساسي في هذا الموضوع، وذلك التمرد من قبل الأبناء، يرجع سببه إلى سوء تعامل الآباء مع أبنائهم، وعدم تقديرهم لطبيعة المرحلة والظروف التي يمرون بها، ويتعرَّضون لها.

ولو أدرك الآباء أن أبناءهم يعانون من بعض المشاكل، ومن بعض الصراعات، ولديهم مشاعر متناقضة أحيانًا حول بعض الأمور، وأنه ونتيجة لهذه الطفرة التي حدثت لهم، وذلك النمو المفاجىء، قد تغيَّروا، ولم يعودوا هم أبناء الماضي، ولم يعودوا أطفالاً، وإن بقيت لديهم بعض صفات الطفولة، وخصائصها، إلا أنهم يحتاجون لتعامل من نوع آخر، تعامل يقوم على فهم الدوافع والأسباب، وعلى عدم تلقي الأوامر وتنفيذها.

بل ربما إلى تعامل على مستوى الندية، لو علم الآباء كل هذه الأمور، فسعوا إلى فهم أبنائهم، في هذه المرحلة، وإحسان معاملتهم، وتفهم دوافعهم، ثم التعامل برفق معهم، ومصاحبتهم، وعدم توجيه اللوم والتعنيف لهم، بصورة منتظمة، ومحاولة زرع الثقة فيهم، وفي قدراتهم، وإمكانيَّاتهم، ومعاملتهم كأنهم رجال حقًا، وإسناد بعض الأعمال التي قد تكون مهمة إليهم، ومتابعتهم في تنفيذها، ثم مدح سلوكهم تجاهها، والثناء على نجاحهم في إنجازها، إن مثل هذه الأمور كفيل في أن يقلب تمرد الأبناء، إلى حب وتعاون مع الآباء.

وماذا يحدث لو أنك أتحت لابنك الفرصة لكي يعبِّر عن نفسه؟!!

خصوصًا في هذه المرحلة الحرجة، مرحلة المراهقة؟!

وماذا يحدث لو أنك منحته بعض الامتيازات الخاصة، بصفته أكبر إخوته سنًا؟!

أليست هناك حقوق للأسبقية في السن؟ أم أنه يجب معاملة الأبناء كلهم بنفس الطريقة، الكبير والصغير بمعاملة سواء؟!

بالطبع لابد وأن تختلف المعاملة، ويعطي الكبار حقوقًا أكثر من الصغار، وعلى سبيل المثال يمكن أن يسمح للأخ الأكبر بالتغيُّب عن البيت إلى وقت معيَّن أكبر في المدة الزمنية، من أخيه الأصغر، إذ أنه لم يصبح صغيرًا حتى نقلق عليه بدرجة كبيرة، مع العلم أن هذا لا يعني أن نترك له الحبل على الغارب، كلا، لتُعطِ حقوقًا أكثر، ليشعر برضا، وبتغيُّر، ولكن لا نتخلَّى عن بعض القيود والتي يجب أن يلتزم بها محافظة على سلوكياته، وعلى حياته، وعلى مستقبله العلمي والأدبي، وعليه أن يتفهم هذا الموضوع، ولا يتم التنازل عنه إرضاء له، حتى لا يساعده ذلك على الانحراف.

سابعًا ـ التأثير السلبي لوسائل الإعلام:

من ذلك تصوير خطأ بعض الآباء في حقوق أبنائهم، وعقوق أبنائهم لهم نتيجة لذلك، وتسويغ هذا العقوق، مع العلم أن هذا الخطأ قد يكون أمرًا نسبيًا، فيتخذه الشباب ذريعة للتمرد على الآباء وعقوقهم، وإن وُجِّهَ إليهم الآباء اللوم، واجهوهم هم أيضًا باللوم، بأنهم أهملوا في كذا وكذا...

وأين هذا من روح الإسلام، الذي يأمر ببر الآباء، بل وحسن مصاحبتهم، حتى وإن كان كافرين، حتى وإن حاولا جاهدين ثني الابن عن إسلامه وعن دينه؟!

قال الله تعالى: ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (سورة العنكبوت:٨).

وأمر النبي ﷺ أيضًا ببرِّهما وإن ظلما، وأن الأبناء مهما فعلوا فلن يستطيعوا الوفاء بحق الوالدين، وخصوصًا بحق الأم، و ولا بزفرة واحدة من زفرات الوضع، إن وسائل الإعلام في بعض الأحيان، ولمعالجة موضوع معيَّن، تسيء إلى أمور أخرى قد تكون من الواجبات أو من الضروريات.

من ذلك حين تلجأ لمعالجة إهمال البعض أبناءهم، وعدم القيام برعاية شؤونهم، أو التقصير في هذا الموضوع، تقوم بقلب الطاولة، فتسمح للأبناء بإهانة الآباء، على الرغم من سطحية الأخطاء المزعومه أحيانًا.

وهذا الموضوع يترسخ في ذهن الأطفال، ومن ثم يستهينون بآبائهم، وربما كان هذا أحد أهم أسباب التمرد من قبل الأبناء تجاه الآباء في الآونة الأخيرة.

خصوصًا أن هذا التمرد لا يقتصر على طائفة دون أخرى، ولا يطال نمطًا من العائلات دون آخر، حتى هؤلاء الآباء الذين جهدوا في رعاية أبنائهم، وتوفير كل ما يلزم لهم، لم يسلموا أيضًا من مثل هذا العقوق.

ولو قام القائمون على تلك الأعمال، بمعالجة الموضوع إسلاميًا، وإضفاء الروح الشرعية عليه، لما انحرفوا ذلك الانحراف، الذي قادهم إلى إظهار الآباء وكأنهم أجرموا، ثم سمحوا للأبناء عندئذ بالاستهانة بهم، وهذا هو لب الداء.

والإسلام لا يسمح بمثل هذا السلوك، أن يهين الابن أباه، أو يضعه موضع السخرية، أو يتندَّر به، والمشاهدون يضحكون عليه، كالبلهاء، ولا يدرون، ولا ينتبهون إلى الآثار الشنيعة لمثل هذه الأعمال على سلوك الأبناء تجاه الآباء، والتي ظهرت في الآونة الأخيرة.

ثامنًا - الخلافات الزوجية:

تعد الخلافات الزوجية عاملاً مهمًا من عوامل تمرد الأبناء، وعقوقهم للآباء، وخصوصًا تلك الخلافات التي ترتفع فيها الأصوات، وتعلو الصيحات، وتتشابك الأيدي، ولا يحترم كل فيها صاحبه.

حين ينشأ الأبناء في مثل هذا الجو المشحون، يشعرون بالحنق من الوالدين، لكثرة مشاكلهم، وتنمو لديهم مشاعر سلبية تجاههم، ومن ثم يقل احترامهم لهم، وينشأ التمرُّد والعصيان ويعرف طريقه لقلوب الأبناء وعقولهم.

ويزكِّي هذا التمرُّد، ويقوِّي شوكته، ويزيد من ناره اشتعالاً، تمثيل أحد الوالدين دور الضحية، ودفعه للأبناء نحو كراهيته هو الآخر، وعده هو الظالم الهاضم لحقه، وحقوقهم.

ومما يزيد الأمر سوءً حقًا، أن تمثل الأم هذا الدور، وتحض الأبناء على كراهية أبيهم، وتملأ عقولهم وقلوبهم بكلام يزيدهم عداءً لوالدهم.

هذا لا يحدث بالطبع من امرأة مسلمة متزنة عاقلة، إذ أنه مهما يكن بين الوالدين من مشكلات وخلافات، فإن هذا لا يُسوِّغ مطلقًا، أن يعمل أحدهما على سقوط الآخرمن نظر أبنائه، أو يحرضهم على كراهيته.

إذ أن كليهما في البداية والنهاية يمثل ركنًا ركينًا، وحصنًا حصينًا يجب أن يكن إليه، ويحتمي به الأبناء، عند الأزمات والشدائد، وكلاهما أيضًا يمثل طرفًا غاليًا، وثمينًا للأبناء، وقد أمر الله تعالى ببرهما، وحسن معاملتهما، ومصاحبتهما بالمعروف مهما تكن الأسباب، ومهما تتغيَّر الظروف، ومن ثم فإن اللجوء للأساليب السالفة الذكر، يعد جريمة لا تغتفر في حق الأبناء.

تاسعًا - انشغال الوالدين عن الأبناء:

وقد سبق الحديث عنه في موطن آخر، وهنا نركز على آثار هذا الانشغال على تمرد الأبناء، حيث أن انصراف الوالدين وانشغالهم عن أبنائهم فترة طويلة يتسبب في عدة أمور من شأنها أن تسمح بتمرد الأبناء وعقوقهم، وأهم هذه الأمور:

١ . الإهمال في رعاية الأبناء:

وحين يشعر الأبناء بأن آباءهم وأمهاتهم لا يعنون بهم حق العناية، ولا يرعونهم حق الرعاية، بخلاف ما يرونه من آباء وأمهات أصدقائهم وجيرانهم، حين يشعر الأبناء بهذا الإهمال من الوالدين، فإنه يقل احترامهم، مما يدعوهم إى التمرد عليهم وإلى عقوقهم، ويعللون ذلك بأن آباءهم لم يعطوهم حقوقهم كي يطيعوهم هم.

٢ . الإهمال في تربية الأبناء تربية إسلامية صحيحة وتركهم للظروف وللمجتمع:

وعندئذ قد ينحرف الأبناء، وقد تحفظهم عناية الله لسبب أو لآخر، لكن في ظل ظروف المجتمع الذي نعيشه، وفي ظل تفشِّي سبل الانحراف ووسائله، فمن المرجَّح أن يسلك الأبناء سلوكًا غير سوي، لعدم وجود التربية الإيمانية السليمة التي تعصمهم من الوقوع في الخطأ، أو من زلة القدم، وهذا يعلمهم سلوك المنحرفين ومنه التمرد على الآباء وعصيانهم.

٣ . ضعف الرقابة الأسرية أو انعدامها:

وتضعف الرقابة الأسرية، أو تنعدم نتيجة هذا الانصراف عن الأبناء. بما يسمح للأبناء بأن يفعلوا ما يريدون كيفما يشاءون، فإذا جاء الأب أو الأم بعد ذلك ليحاسب الابن أو البنت على أي سلوك كان، وجد الاعتراض على كلامه، ووجد العصيان والتمرد، وكأنهم يقولون لهما: وأين كنتما حين تركتمانا نتصرف كما نشاء، ثم تأتيان اليوم للتوجيه؟! لقد فات الأوان على الموضوع، لقد تعلَّمنا وتعوَّدنا على أشياء لا يمكننا الاستغناء عنها.

هكذا يكون حال الأبناء، وهكذا تتفلت الأمور من أيدي الآباء.

عاشراً ـ عدم العدل بين الأبناء:

لا يزال صدى الحديث النبوي الشريف: «اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم»[1] يتردَّد في الآفاق، منُذراً، ومُحذِّراً كل من تُسوِّل له نفسُه ظلم أحد الأولاد، أو تفضيله على الآخر، بسوء العاقبة في الدنيا والآخرة.

إن عدم العدل بين الأبناء، سواءً كان ذلك في العطايا والهدايا، أو في المعاملة من الشدة واللين، والرفق والعنف، أو حتى في النظرات، هذا التفريق في المعاملة يُنذر بأسوأ العواقب للأبناء.

إذ يدفع الشعور بالظلم لدى الابن، نحو أمور كثيرة غير محسوبة العواقب، ومن هذه الأمور تمرد هذا الابن، بل إن الأمر ليمتد كذلك للابن الذي تم تفضيله، ومحاباته على الآخر، إذ يشعر هو بأنه مدلل، ومحبوب، وله منزلة خاصة في قلوب الوالدين، فيدفعه ذلك أيضًا للتمرد، معتمداً على ذلك الرصيد من الحب، وأنه لن يجرؤ أحد على إغضابه، أو إجباره على تنفيذ الأوامر، واحترامها.

فعدم العدل بين الأبناء يُعَدُّ سببًا مباشراً لتمرد الأبناء، سواء أولئك الذين فُضِّلوا من قِبَلِ الآباء، أو الآخرين الذين ظلموا من قبلهم، وكلٌ له ما يسوِّغ تمرده، كما سبق وأوضحنا.

قد يكون لبعض الأبناء صفات معيَّنة، تدفع الآباء لمزيد من الحب لهم، والرفق بهم، أو قد يكون لبعضهم بعض الظروف الخاصة كمرض أو نحوه مما يدفع الآباء لنفس المشاعر السابقة، لكن هذا كله لا يعني بحال من الأحوال تفضيل هذا الابن أو ذاك على بقية إخوته، مما يشعر أولئك الإخوة بنوع من المحاباة، بل والظلم والحسرة والألم، وتلك مشاعر مدمرة، قد لا يدرك آثارها أولئك الآباء.

---

(١) الحديث رواه البخاري وغيره.

وليعلم الآباء والأمهات أن تفضيل أحد الأبناء على الآخر مهما تكن الأسباب، هذا التفضيل نوع من الظلم، وهو أمر حرَّمته الشريعة السمحاء، ولا يرضاه الله تعالى لعباده المؤمنين.

وقد يكون لتفضيل بعض الأبناء على الآخر أسباب أخرى، كأن يكون الرجل متزوِّجًا من امرأتين، وتجبره إحدهما، أو تؤثِّر عليه بأن يحابي أولادها على أولاد الأخرى...

وعندئذ يجب أن يحذر الأب من هذا الموضوع، بل ويحترس منه، لأن فيه الهلاك والعياذ بالله، لأنه ظلم بيِّن، وهو يؤثِّر في نفسية الأبناء تأثيراً خطيراً، بل ويشعرهم أكثر بالمرارة، حين يرون أباهم قد فقد شخصيَّته، ووقع تحت تأثير زوجه الأخرى، ليخالف بذلك شريعة الله في العدل والإنصاف.

وأين ذلك من تلك المرأة المنصفة التي رفضت أن يُحابىَ زوجُها ولدَها بهدية من دون إخوته، وأمرته أن يُشهد رسولَ الله عليها حتى تعطيها لابنها.

يقول النعمان بن بشير: أعطاني أبي عطية (يعني هدية)، فقالت عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تُشهد رسول الله ﷺ، فأتى رسول الله ﷺ فقال: «إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطيةً، فأمرتني أن أُشهدك يا رسول الله، قال: «أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟» قال: «لا»، قال: «فاتقوا الله وأعدلوا بين أولادكم» قال: «فرجع فردَّ عطيته»[1].



(١) رواه البخاري «كتاب الهبة وفضلها».



المشكلة الاقتصادية

تُعد المشكلة الاقتصادية أحد أبرز المشاكل التي تواجه الأسرة، بل ربما تأخذ المرتبة الأولى بين المشكلات لدى بعض الدول والأقطار، كمشكلة أسرية، واجتماعية بصفة عامة.

وتتسبب المشكلة الاقتصادية للأسرة في عدد من المشاكل، والآثار السلبية السيئة. ومن أبرز هذه الآثار على الأسرة زيادة الخلافات الزوجية، وتهديدها لكيان الأسرة بالتعثُّر والتمزُّق.

وإذا اصطلحنا على أن نسمي المشكلة الاقتصادية للأسرة بمشكلة الفقر، بالتحديد فإنَّنا نستطيع أن نجمل أهم الآثار السلبية المترتبة على مشكلة الفقر الأسري المادي فيما يلي:

١ - *الفقر يؤدي إلى زيادة الخلافات الزوجية وتفاقمها:*

وذلك حين لا يستطيع الوالد الإنفاق على الأسرة، وسدَّ حاجاتها المادية، فينشأ الخلاف بين الوالدين نتيجة لذلك، ويزداد مع زيادة المشكلة وتفاقمها، ووقوف الأب عاجزاً من التقدم في التغلب على هذه المشكلة.

٢ - *الفقر قد يؤدي إلى الوقوع في الحرام:*

وذلك حين يضطر الأب إلى فعل أي شيء لتلبية حاجات الأسرة، ويحدث ذلك خصوصًا لدى ضعاف الإيمان، ولدى من لديهم أزواج غير صالحات، فيكون سببًا في دفعهم نحو الحرام.

٣ ـ *الفقر قد يؤدي إلى تشرد الأبناء:*

فالفقر قد يدفع الأبناء نحو التشرد، وإلى انصرافهم عن التعليم نتيجة العجز عن النفقات، وربما نتيجة ضعف السلطة الأبوية، مما يدفع الأبناء إلى التمرد على الآباء، ثم إلى التشرد بعد ذلك.

٤ ـ *الفقر يؤدي إلى تفشي الأمراض في الأسرة:*

وذلك نتيجة الاهمال في العلاج، للعجز عن نفقاته، أو عدم الذهاب إلى دور العلاج في الأصل، والاعتماد على بعض الأمور الأخرى، أو أخذ الدواء بدون استشارة الطبيب، مما قد يؤدي إلى تطور الحالة بصورة سلبية، وربما إلى زيادة المرض، أو يؤدي إلى الاصابة بأمراض أخرى أشد خطورة نتيجة استعمال دواء خاطىء، أو استعماله بطريقه خاطئة بدون ارشاد الطبيب، أو يؤدي إلى استفحال المرض نتيجة تركه مدة زمنية طويلة بدون العلاج المناسب، مما قد يزيد من معدلات الوفاة مستقبلاً.

٥ ـ *الفقر يؤدي إلى الفساد الوظيفي في المجتمع بصفة عامة:*

وذلك حين يهمل الموظفون وظائفهم، إما لشعورهم بأن ما يحصلون عليه من رواتب غير كافٍ، أو غير متناسب مطلقًا مع الوضع الاقتصادي العام في الدولة.

وقد يحدث هذا الفساد أيضًا نتيجة لجوء البعض إلى الحصول على امتيازات خاصة، أو التكسب غير المشروع عن طريق وظائفهم، أو غير ذلك من الأساليب الملتوية، التي يظنون أنها تزيد من دخولهم.

وقد يلجأ البعض للارتباط بعمل آخر، في نفس وقت عمله الوظيفي، مما يضطره لترك عمله الوظيفي، ويشعر هذا وذاك أنه إن لم يفعل هذا فلن يستطيع أن يعيش، ولن يستطيع الإنفاق على أسرته.

تلك الآثار وغيرها فيها الكثير من المخاطر على الأسرة والمجتمع، ومن ثم كان واجبًا عليهما جميعًا أن يواجها هذه المشكلة الخطيرة، ويحاول الآباء والأمهات بصفة خاصة التغلب على آثارها.

أو على الأقل تحجيم هذه المشكلة، من أجل تفادي أكبر قدرٍ ممكنٍ من سلبياتها.

وسنعرض هنا لبعض الحلول، والتي يختص بعضها بالأسرة، وبعضها بالمجتمع من أجل محاولة التغلب على هذه المشكلات.

خطوات نحو علاج المشكلة

١ ـ حسن التعامل مع المشكلة والتخلص من السلوكيات المضادة لها:

قد لا تكون المشكلة لدى كثيرمن الأسر مشكلة فقرٍ، لكنها في الحقيقة مشكلة سوء التعامل مع الظروف المادية، وعدم تقدير الأمور، وعدم وضع الشيء في نصابه، ولا في مكانه الصحيح.

على سبيل المثال كانت امرأة السيد حسن حاملاً، وعندما شاءت إرادة الله أن تلد، اختارت أن تلد في مستشفى معروف عنه ارتفاع الأسعار، وعلو ثمن الخدمة المقدمة.

وعلى الرغم من ظروف زوجها المادية والتي لا تتحمل هذه النفقات، وعلى الرغم من أنها تعلم ذلك، وكانت تستطيع أن تذهب لأحد المستشفيات الأخرى، والتي تقدم نفس الخدمة بثمن أقل بكثير من تلك المستشفيات. . .

ترى هل تعيش هذه المرأة في أزمة مادية؟! أم أنها بتصرفاتها غير المسؤولة تختلق هذه الأزمة، وتساهم فيها؟.

والعجيب أن مثل هذا الصنف من الناس لا يشعر بخطئه، ويجد من الموسوغات ما يؤيد موقفه، مع كونها مُسوغاتٍ فقط، وليست أسبابًا حقيقية لما يقوم به من أعمال غير مقبولة، ولا معقولة، فمثلاً تلك السيدة المشار إليها سابقًا، قد تجد ما يسوغ فعلها، مثلاً أن هذه المستشفى قد سبق وولدت فيه أختها، وأنها لن تلد في مستشفى أقل منه،وهي لا تنظر إلى أن ظروفها قد تختلف عن ظروف أختها، ولكنها تنظر فقط إلى المسألة من وجهة نظر الفخر والمباهاة!

وما دامت المرأة تفكر بهذه الطريقة فستظل تعيش في أزمة مالية، لن تحل لأنها تتصرف بطريقة لا تتناسب مع دخلها المادي مطلقًا.

وهناك صنف آخر من النساء، تعودن الإسراف في كل شيء، فتراها حين تشتري شيئًا، تشتري ما يزيد عن حاجتها بكثير، ومن ثم ترى مقداراً كبيراً منه يذهب سدى، أو يفسد، وينتهي أمره.

والإسراف حين يكون خلقًا لبيت من البيوت، ترى هذا البيت دائمًا يعاني من الأزمات، ودائمًا يشتكي أصحابه، ولو عرفوا أنهم هم السبب من وراء تلك المشاكل لما اشتكوا، ولنظروا إلى خللهم فأصلحوه.

وهناك من تهتم بشراء الكماليات، وتعدها أشياء أساسية لا يمكن الاستغناء عنها مطلقًا، بالرغم من كون الكثير من البيوت تعيش في غنى عنها، وتعيش بسلام وبدون مشاكل.

إقتناع البعض بأن البيت يجب أن يكون جاهزًا من كل الكماليات، يجعلهم يستدينون، ويقعون في الأزمات المادية الطاحنة، والتي هي من صنع أيديهم بالدرجة الأولى.

وهناك صنف آخر من الناس، يساعد على خلق الأزمات المادية بدون وعي، وقد يكون حقًا فقيراً نسبيًا، لكنه في الوقت نفسه يساعد نفسه على الفقر أكثر، وليس على الغنى، ومشكلة هذا الصنف الإهمال.

إن الإهمال مشكلة كبرى، وهي كفيلة بهدم الكثيرمن البيوت، وتقويض أركانها، وزعزعة بنائها، وزيادة مشكلاتها.

فالإهمال في الطعام مثلاً يجعله يفسد، ولا يتم الاستفاده منه، وهذه خسارة مادية بالطبع، والإهمال في آثاث المنزل، وعدم وضع كل شيء في مكانه المناسب يجعل الكثير منه يتعرض للخلل، ويحتاج للإصلاح، وإن لم يتم إصلاحه بسرعة قد يزداد الخلل فيه، ويصبح من الصعب معالجته، ويحتاج لمزيد من الجهد والمال، فمشكلة عدم صيانة الأمور المنزلية بسرعة، يُكلِّف البيت ماديًا تكلفة كبيرة.

والإهمال في رعاية الأطفال والعناية بهم والحفاظ عليهم، يُؤدِّي لكثير من المخاطر مما يضاعف الخسائر المادية والمعنوية بالطبع، وعلى سبيل المثال، فإن الإهمال في رعاية الأطفال قد يُؤدِّي بهم إلى التسبب في خسائر مادية مباشرة في المنزل، كأن يقوم الطفل بتكسير بعض الأشياء الثمينة، أو يتسبَّب في ضياع بعض الأشياء المهمة، أو في إفساد بعض الأوراق المهمة أو ضياعها... إلخ.

كما قد يتسبَّب إهمال الطفل في أن يُؤذيَ نفسه، أو أحد إخوته، أو يؤذيَ البيت كله، كأن يتسبَّب مثلاً في حريق والعياذ بالله.

إنه من المهم جدًا العناية بالطفل، ورعايته وحسن تربيته، ومراقبته، وفهم كيفية التعامل معه، لأن كل هذه الأمور تصبُّ في المحافظة على البيت المسلم، وحمايته من الأزمات المادية، والمعنوية بالطبع.

٢ - تفعيل إنتاجية الأسرة:

تنبع مشكلة الفقر غالبًا من عدم تمكُّن الأب من سداد احتياجات الأسرة، من عمله الوظيفي، ومن ثم فهو يحتاج إذن لمن يساعده في هذا الأمر.

والأسرة بطبيعتها مستهلكة، ومع محدودية الدخل، وزيادة الاستهلاك تُصبح الأمور متعسِّرةً، وصعبة، وغير قابلة للحل.

فإذا استطعنا أن نحوِّل الأسرة من عنصر مستهلك فقط، إلى عنصر منتج أيضًا، نكون بذلك قد تغلبنا على جزءٍ من المشكلة، قد يساعد في الحل.

وعلى سبيل المثال، تستطيع بعض النساء أن تنتج بعض الأعمال في المنزل، وبتكلفة بسيطة، وبعض هذه الأعمال يمكن أن يسدَّ جزءً من احتياجات الأسرة، فيوفر عليها شراءه من الخارج بثمن أعلى، وجزء آخر يمكن أن يتم بيعه ضمن مشروع الأسر المنتجة.

فمن الممكن أن تنتج الأسرة مثلاً بعض المأكولات مثل: (الزبادي، الجبن، المربى، الفطائر، الحلويات، بعض أنواع المخللات، الكثير من العصائر، الصلصة...).

والكثير من المأكولات التي تُشترى بثمن عال نسبيًا، يمكن صنعها بثمن أقل بكثير في البيت، ويمكن أيضًا بيع بعضها.

وبهذا تكون الأسرة قد أصبحت منتجة، وليست مستهلكة فحسب.

كما يمكن أن تقوم المرأة بالحياكة أو التطريز وغير ذلك من الأعمال الفنية التي تقوم بها كثير من النساء، وبهذا يمكن أن توفر ملابس للأولاد، كما يمكنها أن تبيع بعض ما تصنع.

كما يمكن أن تقوم المرأة أيضًا بتربية بعض الأنواع من الطيور منزليًا، والآن توجد معدات حديثة تسمح بهذا، بدون أن تحتاج لمكان ذي مواصفات خاصة، أو مجهود كبير.

ويمكن كذلك للأبناء أن يصبحوا منتجين، في أوقات فراغهم، وفي الأجازات الصيفية، عن طريق بعض الأعمال البسيطة أيضًا، والتي لا تكلفهم من الجهد إلا اليسير، وتدر عليهم ربحًا أيضًا.

من هذه الأعمال على سبيل المثال، الاستفادة من الكمبيوتر في التدريب على بعض البرامج، واتقان بعضها، والاستفادة بذلك في العمل على هذه البرامج لحساب بعض الشركات، أو الاشخاص، وإنجاز بعض الأعمال لهم.

لأن الكثيرين الآن يحتاجون الكمبيوتر في اعداد أنواع مختلفة ومتنوعة من البرامج، علمًا بأن الأبناء والشباب منهم خصوصًا الذين في مرحلة المراهقة يكون لديهم إبداع في استخدام تلك البرامج أكثر من غيرهم من الكبار، ولعلنا نلاحظ أن معظم المبدعين الآن في مجال الكمبيوتر، والذين يحصدون الجوائز المتنوعة في هذا المجال، معظم هؤلاء الشباب دون السابعة عشرة من العمر.

ومن هؤلاء من يفوز أيضًا بمراتب متقدمة، وفي مجال الأنترنت، وهذه الخدمة الآن متوفرة، ورخيصة الثمن في الكثير من الدول العربية والإسلامية، ويمكن الاستفادة بها كثيراً.

والخلاصة أنَّنا بقليل من التفكير، نستطيع أن نجعل الأسرة تساهم في الإنتاج، ولا تصبح أسرة مستهلكةً فقط، مما قد يساعد الأب في المسؤولية الاقتصادية عن الأسرة.

٣ ـ قيام المؤسسات الخيرية بدورها في مساعدة الأسر الفقيرة:

يجب أن تقوم المؤسسات الخيرية بدورها المنوط بها في مساعدة الأسر الفقيرة، في المجتمع والتي قد تكون مجهولة نوعًا ما بحيث ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ (سورة البقرة: ٢٧٣).

يجب أن نقوم بهذا الدور، فنساعد تلك المؤسسات في التعرف على تلك البيوت الفقيرة، ومن ثم القيام بمساعدتها.

كذلك فإن مؤسسات الدولة الخيرية، واجب عليها أيضًا القيام بهذا الدور جنبًا إلى جنب مع المؤسسات الخيرية الأهلية، بل إن الدولة بكامل مؤسساتها مطالبة بحماية الفقراء من خطر الفقر، والقيام برعايتهم، وتوفير حاجاتهم الأساسية، من مأوىً، ومأكل وملبس، ونحو ذلك مما لا يستغنى عنه الإنسان، وقد أصبح التعليم اليوم حقًا من الحقوق التي يجب أيضًا أن توفرها الدولة لجميع أفرادها بغير استثناء، حيث أن الجهل هو أحد أهم أسباب الفقر والتخلُّف الذي يسود العالم العربي والإسلامي بصفة عامة، وقد يمثل الفقر لدى بعض الأسر عائقًا عن التعليم، أو عن إكمال مراحل التعليم المختلفة. المتوسطة منه والعليا.

ومن ثم كان واجبًا أن توفر الدولة لأبنائها فرصة التعليم المجاني للجميع بغير استثناء، وأن توفر للأطفال منهم والشباب الغذاء والدواء، باعتماد نظام التغذية المدرسية، والتأمين الصحي، وتفعيل هذين النظامين بحيث يؤديان رسالتهما على أكمل وجه، ولا يصبحان اسمًا بلا مضمون، أو شكلاً بغير جوهر حقيقي.

٤ ـ قيام الأهل بمساعدة أبنائهم المتزوجين حديثًا:

لا شك أن الشباب اليوم يقع في أزمة اقتصادية كبيرة، فهو لا زال في مقتبل حياته، وتكاليف الزواج أصبحت كبيرة، وشاقة، وفي ظل الأزمات المادية للدول النامية، تزداد المشكلة تعقيدًا وصعوبة.

وإذا لم يقم الأهل بمساعدة أبنائهم في مقتبل حياتهم، حتى يستطيعوا التغلب على تلك الصعاب، فقد لا يستطيع الشاب أن يتزوج قبل سن الأربعين، وقد يقول الأهل: يكفي أننا قمنا بتربيتهم، وتعليمهم...

لكن الحقيقة أن هذا الآن غير كافٍ، ما دام أن الأهل لديهم القدرة المادية لمساعدة أبنائهم على الزواج، وعلى تكاليفه، ومساعدتهم أيضًا وهم في سنواتهم الأولى من الزواج، إن كانوا يستطيعون هذا، فهو واجب عليهم، وإلا فإننا نساهم في ضياع أولادنا بعدما قمنا بتربيتهم وتعليمهم، لنتذكر جميعًا أننا كنا في بداية حياتنا الزوجيَّة، كنَّا نعاني من أزماتٍ مادية، وكنا نودُّ لو وقف أحدٌ بجانبنا، ولا نقول أنهم يتكفَّلون لهم، بل لابد للشباب من أن يعمل ويجد ويتعب، ويبني مستقبله، لكن أيضًا، وقوفنا بجانبه يُعطيه دفعةً نحو الأمام، ويساعده على التقدم.

ويحررٌ نفسه من اليأس، أو العجز، أو الإحباط الذي قد يتملَّكه من كثرة المشاكل، وشدة الأزمات، إن الظروف اليوم تختلف كثيرًا عن السابق، لقد كان لدينا مشاكل نعم، لكن الشباب لديهم مشاكل أكبر، بل وأزمات كبيرة، فلا مناص من المساعدة لمن يقدر عليها.



الفهرس

الموضـوع | صفحة

الموضـوع | صفحة



من أحدث مطبوعات دار الإيمان

من وصايا الرسول ﷺ للنساء

مع الشرح والتحليل وعلاقتها بالواقع

عادل فتحي عبد الله





من أحدث مطبوعات دار الإيمان

كيف تجعلين زوجك يحبك

«٥٧ طريقة تزيد من محبة الزوج لزوجته في ضوء القرآن الكريم والسنة الصحيحة»

عادل فتحي عبد الله

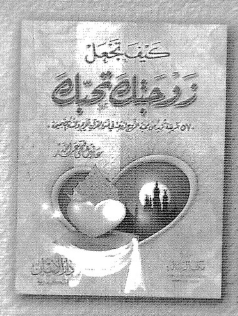




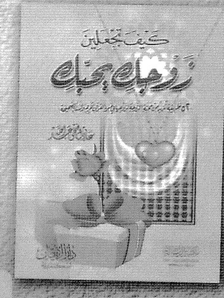

شمس تشرق
دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع

عالم المشتبهات

من أحدث إصداراتنا للمؤلف











دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع ١٧ شارع خليل الخياط . مصطفى كامل . اسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤٤٦٤٩٦

دار القمة ١٩ شارع خليل الخياط . مصطفى كامل . اسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤٤٦٤٩٦
E-mail:dar_aleman@hotmail.com